المرأة العربية في النقب



صالح زيادنة

موسوعة التراث الشعبي في النقب

المرأة العربية في النقب

المرأة العربية في النقب

« الزوجة والمربية »

صالح زيادنة

ا لمرأة العربية في النقب
الزوجة وا لمربية

الطبعة الأولى

آذار ٢٠٠٩ م – ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

الصفّ والتنضيد والغلاف:

صالح زيادنة

الإهــــداء

- إلى كلّ امرأة، وكلّ زوجة، وكلّ أم أينما كانت.
- إلى المرأة العربية البدوية في ربوع النقب.
- إلى زوجتي أم جمال وأبنائي وبناتي وأفراد أسرتي.
- إلى أم جنّات، وطفلتنا الصغيرة جنّات التي تملأ علينا فضاء البيت.
- إلى صحيفة أخبار النقب ورئيس تحريرها الأستاذ محمد يونس على دوره في دعم ونشر كلّ ما له علاقة بتراثنا الشعبي.
- إلى الزميلين والصديقين الوفيين موسى الحجوج ومصلح أبو سمّور.
- إلى كلّ هؤلاء، وإليك أنت عزيزي القارئ أهدي هذا الكتاب.

صالح زيادنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المرأة العربية في النقب هي المرأة البدوية، وهي المرأة العربية المسلمة التي عاشت طفولتها وصباها بين أحضان الصحراء، وعاشت حياتها متنقلة مع زوجها وأسرتها إلى حيث مرابع الخصب، ومواقع الماء، ومواطن الكلأ، ترعى الماشية حيناً، وتَرِدُ الماء حيناً آخر، وتُدير شؤون بيتها وأسرتها، وتُعِدّ الطعام لهم، وتخيط ثياب أطفالها، وتنسج فراش بيتها، وتشارك زوجها في أمور الحياة حلوها ومرّها.

وفي شكل المرأة البدوية نرى شكل الأم، بلباسها التقليدي البسيط، بحشمتها ووقارها، بصمتها وهدوئها، بثوبها الأسود الفضفاض، وعباءتها السوداء الثقيلة، بحنانها الوقور، ونظراتها الثاقبة الصادقة.

ونحن في هذا الكتاب نسير معها في مراحل حياتها المختلفة، ندخل عليها بيتها، ونرى مطبخها البسيط، وأدواتها المتواضعة القليلة، نراها وهي تعمل في بيتها، وهي تطرز أثوابها، وهي تربي أولادها، نراقبها وهي تُعدّ الطعام، ونتعرّف منها على أنواع الأطعمة المختلفة، على كيفية طهي خبز الصاج، ونسمع منها مشاكلها وبعض الأمور التي تضايقها وتقضّ مضجعها.

ونحن معها في هذا الكتاب نسأل ونستقصي ونكتب وأحياناً نصوّر، وكل غايتنا أن نفيها بعض حقّها، وأن نقدّم لأبنائها وبناتها زبدة تجاربها، وأن نُسجّل ونوثّق بعض عاداتها وفضائلها وحسن أخلاقها وتدبيرها، وندحض فكرة خاطئة صوّرت

المرأة العربية في الجنوب بأنها امرأة جاهلة لا تعرف شيئاً من أمور الدنيا سوى بعض الأمور الأساسية البسيطة.

وفي هذا الكتاب ما يلقي الضوء على أصالة تلك المرأة وعلى نظافتها وعفافها، وعلى كرمها وحسن أخلاقها، مما يعيد تلك الأفكار الخاطئة إلى رؤوس مفكريها، ويضع تلك المرأة الأم في المكان المناسب لها والذي تستحقه بجدارة وهذا أقل الواجبات التي نقدمها إلى تلك الأم المدرسة بكل جوانبها.

وقد كُتِبَ لنا أن نعيش طفولتنا وصبانا في الصحراء، في عائلة بدوية تعيش في بيتٍ من الشَّعْر، وتقتني المواشي، وتفلح الأرض، فلعبنا مع أترابنا على ترابها، وتسابقنا على كثبانها وهضابها، فشهدنا حياة الصحراء على طبيعتها، وعرفنا بيئتها وظروفها، وها نحن نكتب ما عرفناه، ونستعيد بعض ما شهدناه، وننقل صورة واضحة جلية لحياة الصحراء وأهلها، ولحياة المرأة بشكل خاص كما عرفناها وعشنا معها.

فهل نفي المرأة حقها؟ وهل هذا العمل هو نوع من البر بالوالدين؟ لا أدري ولكنني أجد نفسي مسوقاً لتسجيل تلك الأحداث ولتوثيق تلك العادات، علّني أكون بذلك قد قمت بعمل يحفظ شيئاً من عاداتنا، ويكون مرشداً لأبنائنا، وبناتنا من بعدنا، والله المستعان على أمره.

الثلاثاء، ١٠ آذار، ٢٠٠٩

الفصل الأول

العادات والتقاليد

نودّ في بداية كتابنا أن نتعرف على بعض المصطلحات ذات الدلالة التراثية، والتي يُفهم من خلالها صلة الحاضر بالماضي، وصلة الأبناء بالآباء، وعادات السَّلَف للخَلَف، وتراث الأجداد للأبناء والأحفاد، ونبدأها بمصطلح:

العادات:

العادات: جمعٌ لكلمة عادة، وتعني في مفهومنا الدارج تلك الأشياء التي درجَ الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها، وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً [(١)]، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه وفي البيئة التي يعيش فيها.

والعادة اصطلاحاً: هي ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً متكررة. نقول عاد الشيءُ فلاناً، أي أصابه مرة بعد أخرى، ويقال: عادهُ الشوقُ أو

(١) – الرائد، جبران مسعود، جـ ٢، ص ٩٩١.

الحنين؛ أي رجع إليه مرةً بعد مرة [٢]. ونقول: عَـوَّدهُ علـى.. أي جعلـه يعتاد هذا الشيء حتى يصير عادةً له. وسمعتُ شيخاً يذكر مرضـاً يعتـاده كلّ عام ويقول: «كُلّ مَعْيُود مُبَـارك» [٣]. وهنـاك مثـل شـعبيّ آخـر يقـول: «ابن آدم عَوَّاد على أثره[٤]».

وفي لسان العرب في مادة: "ع و د": أنشد ابن الأعرابي[٥]:

لم تَزَلْ تِلْكَ عادَةَ اللهِ عِنْدي، والفَتى آلِفٌ لِما يَسْتَعِيدُ

وقال:

تَعَوَّدْ صالِحَ الأَخْلاقِ، إِني رأَيتُ المَرْءَ يَأْلَفُ ما اسْتَعادا

والعيد: هو تلك المناسبة التي يتكرر مجيئها كلّ عـام في وقتهـا المحـدّد، والعِيدِيّـة: هي تلك الهدية النقدية التي يعطيها الرجـل لبناتـه وأخواتـه ومن له صلة رحم بهنّ في الأعياد، وغالباً مـا يكـون ذلـك في عيـد الأضـحى المبارك.

وحتى كلمة عيادة؛ فهي تعني المكان الذي يرتاده الناس مـن وقـت لآخـر من أجل المعالجة والاستشفاء.

(٢) – المعجم الوسيط، جـ ٢، ص ٦٥٨.

(٣) – من الأمثال البدوية، ص ١٧٣.

(٤) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٥) – لسان العرب: مادة: "ع و د ".

فالعادة إذن هي ما تكرر فعله حتى أصبح ديدناً، وألفتهُ الأبصار لكثـرة مشاهدته في حياة الناس اليومية.

والعرب يكرهون إنشاء العادات الجديدة خشيةً على عاداتهم المتوارثة، وخوفاً أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يُفقد مجتمعهم بعض الصفات الكريمة التي يفضلون بقاءها حيّةً فيه، ويقولون في ذلك: «ابْطِلْ عَادة ولا تُنْشِيء عَادة[٦]»، والمعنى مفهوم من ذلك.

وقد شهدتُ بطلان عادة كانت متّبعة في مجتمعنا وهي عمل القِرَى في المآتم، حيث كان أهل المتوفّى يقومون بذبح الذبائح واستقبال المعزِّين وكأنهم في عرس، وقد بطلت هذه العادة في أواخر الستينيات، أو تحديداً في عام ١٩٦٨، وكان بطلانها من الأمور الايجابية التي اتخذها مجتمعنا في ذلك الحين.

ويرى الناس أن بعض الأشخاص ممن عُرفت عنهم تصرفات سيئة يصعب عليهم ترك هذه الصفات والعدول عنها لتأصلها فيهم، ويقولون: «اللي فيه عادة ما بيخلّيها[٧]».

---

(٦) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٧) – المرجع السابق.

وقد تموت بعض العادات وتُمحى من الوجود بسبب غيابها عن الأعين والأبصار كعادة لبس الطربوش مثلاً التي كانت سائدة في العهد التركي.

وقد تظهر عادات جديدة تفرض نفسها على المجتمع كعادة لبس المرأة للجلباب الفضفاض التي أصبحت مألوفة في مجتمعنا، وكادت تقضي على الثوب الأسود التقليدي المطرّز بأنواعه المختلفة، وكذلك لبس الرجال للسراويل الإفرنجية المزمَّكة التي قضت أو كادت على لباس الرجل التقليدي المعروف والذي يُسمى في مجتمعنا "الكِبْر"، ويسمى عند أهل القرى «القُمْبَاز».

وقد يطول البحث بنا لو أردنا الإسهاب حول كلمة العادة والعادات، ولكننا نكتفي بذكر بعض العادات السائدة في مجتمعنا للدلالة فقط، ومن هذه العادات: عادة استقبال الضيوف وتقديم القِرَى لهم، وعيادة المرضى ودعوتهم لإكرامهم وتقديم الواجب لهم، والذي يتمثّل في عمل القِرَى أو «القَرْوَة» كما تسمى في مجتمعنا، وكذلك الحال بالنسبة للمعتمرين والحُجَّاج لدى عودتهم. وقد أجمع المعتمرون والحُجَّاج على عدم الذهاب مع أي شخص فأصبح الناس يأتونهم للتهنئة بالعودة وأداء المناسك ليس أكثر.

ومن العادات أيضاً تقديم القهوة من اليمين، وهزّ الفنجان وتحريكه دلالة على الاكتفاء، ومن الأمثال الدالة على ذلك قولهم: «مدّ القهوة عَ اليمين لو كان أبو زيد عَ الشمال»(٨)، وحول تحريك الفنجان وهزِّهِ روى لي أحد القرويين بأنه زار رجلاً في البادية فصبَّ له القهوة، فشربها القرويّ وأعاد الفنجان، ولكن البدويّ صبَّ له مرة أخرى، وتكرّر ذلك حتى قال القرويّ: «يا عَمِّي بَس»، فأخبره البدويّ عن عادة هزّ الفنجان والتي تعني الاكتفاء وعدم الرغبة في المزيد.

ومن العادات الشائعة أيضاً عادة «القَوَد»؛ وهو النقوط الذي يُقدّم في الأعراس لوالد العريس أو للعريس نفسه، وهو عبارة عن خروف سمين أو مقدار ثمنه نقداً، ويُسجّل صاحبُ العرس أسماء الذين يقدّمون له هذا النقوط، وقيمة ما يقدمونه إن كان من النقد أو من الشياه، لأن عليه تسديده عندما تكون لديهم مناسبات مماثلة، ويقولون في ذلك: «أكل الرجال عند الرجال قُرْضة وعند الأنذال حَسَنة»(٩).

وقد سادت في مجتمعنا في السنوات القليلة الماضية موجة من التذمر لضخامة مبلغ النقوط أو القَوَد وكثرة الأعراس في الموسم الواحد، ونادى

(٨) – من الأمثال البدوية، ص ١٠٢.

(٩) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

بعض المصلحين من المشايخ وأئمة المساجد والوجهاء بتقليل المبلغ حتى يتمكن الناس من إبقاء المجاملة بينهم دون الإثقال عليهم وتحميلهم ما لا يستطيعون حمله.

وهناك عادات مختلفة كعادات الزواج من بَدَلٍ وغيره، وعادات القضاء العشائري بفروعه وتشعّباته المختلفة، وكذلك عادات اللباس والمظهر وعادات الطبخ والطعام، والغناء التقليدي وغيرها من الأمور.

وهناك أشياء نتعوّد عليها من خلال رؤيتنا المتكررة لها؛ كرؤيتنا للأم في ثوبها التقليدي، أو للأب بعباءته السوداء التي يضعها على كتفه وكأنها رمز للوجاهة والرجولة، أو بمنديله وعقاله المائل، أو بـ"شِبْرِيَّتِهِ"[١٠] الفضيّة المزخرفة التي يضعها في حزامه.

وهناك أشياء نتعوّد عليها من خلال سماعنا المتكرّر لها؛ كصوت الجُرْن أو المهباش وهو يدقّ القهوة بصوته العذب الرتيب، أو صوت الشبّابة حينما يسكب فيها الراعي أحلى ألحانه، وينتقل بين لحنٍ ولحن وكأنه في روضة غنّاء من الألحان والأنغام، وكذلك صوت البدّاعين[١١] في الأعراس والمناسبات السعيدة، وصوت الربابة الشجيّ الذي تغلب عليه مسحة من

---

(١٠) – الشبرية: سكين يحملها البدوي في حزامه، وتعتبر من تقاليده المتوارثة، وقد جاءها الاسم بسبب طولها الذي يساوي شبراً، والشِبْر، هو المسافة التي بين طرفي الخنصر والإبهام، وهو ما يساوي ٢٥ سم تقريباً.

(١١) – الذي يُغنّون الأزجال في حفلات السمر والأعراس.

الحزن وكأنها تعبّر عن أحاسيس أهل البادية وخلجاتِ نفوسهم بين رمال الصحراء وكثبانها.

وكذلك تعوّدت أسماعنا على ثغاء المواشي ورغاء الإبل وصهيل الخيل، ونباح الكلاب وهريرها.

وهناك أشياء نتعوّد عليها من خلال شَمّنا المتكرّر لها؛ كرائحة القهوة عند تحميسها أو (تحميصها)، ورائحة اللبن من حليب ورائب ولبنٍ مخضوض، ورائحة الشواء واللحم الضأني المطبوخ وغير ذلك كثير.

وهناك بعض الكلمات التي لها علاقة بالعادة والعادات ومنها الطَّبْع، والكار، فنجد في الأمثال الفصيحة: «الطبع غَلَبَ التطبُّع»، وفي الأمثال الشعبية: «طَبْع اللبن ما بيغيّره إلا طبع الكَفن[(١٢)]». و «أُحكم بطبعك وطبع الناس لا[(١٣)]»، أما الكار وهو من تكرار الفعل، فالمثل يقول «اللي فيه كار ما بيخليه[(١٤)]» وهو موازٍ للمثل: «اللي فيه عادة ما بيخليها».

وقد لُقِّب الشاعر مصعب بن عبد الله الزبيري بـ"عائد الكلب" لبيت شعر يقول فيه:

مَا لِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَائِدٌ   مِنْكُمْ، وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ

---

(١٢) – من الأمثال البدوية، ص ١٤٠.

(١٣) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(١٤) – المصدر السابق.

التقاليد:

التقاليد: جمعٌ لكلمة تقليد، وهي من الفعل قلَّدَ يُقلِّدُ تقليداً، ومعناها أن يُقلِّد جيلٌ أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها، إن كان ذلك في الملبس أو في السلوك والتصرفات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخَلَف عن السَّلَف. وفي المنجد، التقليد: جمع تقاليد وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم والأعمال(١٥).

ويقال قَلَّدَ فلاناً: أي اتبَعَهُ وحاكاهُ فيما يقول أو يفعل من غير حجّة ولا دليل.

وفي تراثنا وحياتنا الاجتماعية عندما نرى فتاة تطرِّز قطعةً من القماش لتعمل منها ثوباً، فإننا ندرك أنها تُقلِّد والدتها في ذلك. وكذلك لو بدأت تعجن الدقيق أو تتعلّم الطهي على الصاج أو غيره فهي تكتسب تلك المهارات مما تراه عند والدتها وتقلّدها في ذلك متّخذة إياها قدوة لها تسير على نهجها وتتبع خطواتها وتسلك مسلكها.

والطفل عندما يبدأ النطق فهو يقلّد والديه ويحاكيهم في لفظهم وتصرفاتهم حتى يستقيم لسانه ويهتدي إلى اللفظ السليم.

---

(١٥) – المنجد: ص ٦٤٩.

وكـذلك في السـلوكيات فـإن للبيـت أثـره البـارز علـى تنشـئة الأولاد وتربيتهم على الأسس السـليمة، فمـن يتربّـى في أسـرة محافظـة ملتزمـة بدينها يسير على نهـج والديـه، ومـن يتربّـى في أسـرة فاسـدة فالنتيجـة معروفة إلا من رَحِمَ ربّي.

وكثيراً ما نرى ترادفاً ظاهراً بين كلمـتي عـادات وتقاليـد فنـرى النـاس يقولون: مـن عاداتنـا وتقاليـدنا فعـل كـذا.. أو إننـا نحـافظ علـى عاداتنـا وتقاليدنا.. وقد درجت بعض العائلات على عدم تزويج أبنائهم أو بناتهم مـن بعـض العـائلات الأخـرى، لـيس لأن في تلـك العـائلات مـا يعيبهـا، ولكنهم ساروا في أثر آبائهم وقلدوهم في تصرفاتهم ولم يحاولوا أن يغـيروا أو يبدّلوا شيئـاً بعدهم.

وكثيراً ما نرى بعض الصـفات الـتي تـدلّ علـى القِـدَم والجهـل والعمـى تلتصق بكلمة التقليد مثل: تقليد أعمى، وتقاليد بالية وغيرها من الألفـاظ والعبارات التي يستعملها المفلسون في أغلب الأحيان.

وكثير من الأشياء التي ذكرناها تحت عنوان العـادات يمكـن أن تنـدرج تحت هذا الباب وليس في الإعادة فائدة.

وفي أمثالنا الشعبية: «اللي بيعاشر القوم أربعين يوم، يا بيصير منهم يا بيصير عليهم[١٦]» لأنه يتعلّم طباعهم ويجاريهم في عاداتهم وتقاليدهم ويعرف عنهم كلّ صغيرة وكبيرة.

التراث:

هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيلٍ إلى جيل، نقول: «التراث الإنساني، التراث الأدبي، التراث الشعبي»، وهو يشمل كلّ الفنون والمأثورات الشعبية من شعرٍ وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات.

وكلمة تراث من الفعل وَرَثَ يَرِثُ مِيرَاثاً، أي انتقل إليه ما كان لأبويه من قبله فصار ميراثاً له، وفي الآية الكريمة من سورة النمل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ.. [١٧]﴾ وفي آية أخرى من سورة الأحزاب: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا..[١٨]﴾، وقال الله تعالى إخباراً عن

(١٦) – الأمثال البدوية، ص ٥٢.

(١٧) – سورة النمل: الآية ١٦.

(١٨) – سورة الأحزاب: الآية ٢٧.

زكريا ودعائه إياه: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ..[19]﴾، **أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي.**

وتُرَاث أصلها وُرَاث فقلبت الواو تاءً كما في قولنا تَقوى وتُقاة من وقى، وكثيراً ما تبدل التاء من الواو في نحو تراث وتجاه وتخمة وتقى وتقاة.

وفي الأمثال الشعبية: «من كان وريثك لا تحاسبه[20]»، ومن أمثلة الموروثات الشعبية تعليم المرأة ابنتها الخياطة والتطريز والغزل والنسيج والعجن والطهي، وتدريب الرجل لابنه على عادات الفروسية والكرم واستقبال الضيوف وعمل القهوة لهم، ومجالسة الرجال والوجهاء ومعرفة أمور القضاء العشائري والقوانين والأعراف القبلية، وكذلك معرفة الفلاحة وزراعة الأرض وتربية المواشي من أجل العيش والارتزاق.

ومن هنا نرى أهمية التراث في نقل كل ما هو جميل من العادات والقيم والأخلاق الحميدة من جيل إلى جيل، والحفاظ على التراث هو حفاظ على القومية، والهوية الوطنية واللغة من التلف والضياع.

---

(١٩) – سورة مريم: الآيات ٥ – ٦.

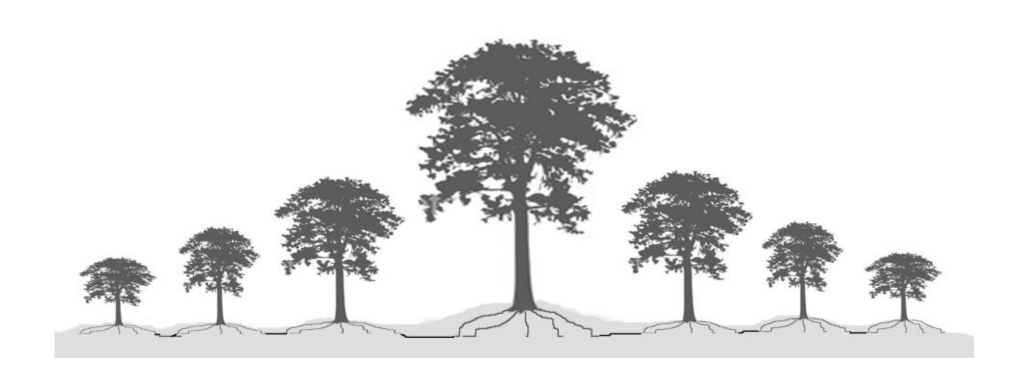
(٢٠) – من الأمثال البدوية، ص ٢٠٨.

الفولكلور: Folklore

هو مصطلح غربي يعني التراث الشعبي، وكل ما يندرج تحت باب التراث من الفنون الشعبية المختلفة، والكلمة مكونة من شقين Folk وتعني قوم أو شعب، و Lore، وتعني التراث والمعتقدات التقليدية، وبمجملها تعني التراث الشعبي، ولا ننصح باستعمال مثل هذه الكلمات لأن في لغتنا العربية المرنة ما يسدّ مكانها ويعبر بشكل أفضل مما تعبر هي، بعبارات بسيطة لا نجد صعوبة في فهمها وتبيان معناها.

الأنثروبولوجيا - Anthropology

وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته، وقد ذكرت هذا المصطلح لوروده كثيراً في الأبحاث التراثية المختلفة.



الفصل الثاني

الزواج: طرقه، أنواعه وعاداته

المجتمع العربي في النقب هو مجتمعٌ محافظ، له عاداته وتقاليده الاجتماعية المتوارثة، وله طرقه الخاصة في التعامل مع هذه المواضيع، ومن بينها موضوع الزواج والذي هو من أكثرها حساسية نظراً لتعلّقه بموضوع العِرْض والشَّرف والكرامة، والتي يضعها الرجل البدويّ فوق كلّ القيم والاعتبارات، وحتّى ربّما فوق الحياة نفسها.

ونظراً للعُزلة التي تفرضها البيئة الصحراويّة على حياة النّاس وظروف معيشتهم، نَجِد أنّ موضوع الزواج كان يدور في نطاق العائلة والقبيلة، ولا يتعدّاهما إلا في القليل النادر، وكانت الطرق التي يتمّ بها تزويج الأبناء، أو يتمّ بها الزواج بشكلٍ عامّ، تتلاءم مع بيئة البدويّ وحياته في الصحراء، وإنْ كانت تجري في مُجملها بالطرق الإسلامية الصحيحة على سنّة الله ورسوله.

والزواج اصطلاحاً: هو ذلك الرباط الشرعيّ المقدّس الذي يربط بين الرجل والمرأة ليقترنا ويكونا زوجين، وهو عَقْد شريف مبارك شَرَعَهُ الله

سبحانه وتعالى ليحفظ به الذريّة والنسل، ويعفّ من خلاله الناسُ عمّا حرّم الله، وفيه هدوء للنفس، ونشر للفضيلة، وبقاء للنوع، وحفاظ على النسب، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢١).

وفي آية أخرى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(٢٢).

وفي حديثٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم للزوجة المسلمة "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة". أخرجه مسلم(٢٣).

الزواج في اللغة:

هو اقتران الرجل بالمرأة بمراسيم شرعيّة دينيّة(٢٤). وفي مادة «زوج» من لسان العرب: الزَّوْجُ: هو الفَرْدُ الذي له قَرِينٌ. وزَوَّجَ الشيءَ بالشيء، وزَوَّجه إِليه: قَرَنَهُ. وفي التنزيل: وزوّجناهم بحور عين؛ أَي قرناهم،

(٢١) – سورة الروم: آية ٢١.

(٢٢) – سورة النحل: آية ٧٢.

(٢٣) – صحيح مسلم: حديث رقم ١٤٦٧.

(٢٤) – الرائد، جبران مسعود، جـ١، ص ٧٨٨.

وكل شيئين مقترنين، شكلين كانا أَو نقيضين، فهما زوجان؛ وكلُّ واحد منهما زوج.

والزوج: الاثنان. وعنده زَوْجَا حمام؛ يعني ذكراً وأُنثى. وزوج المرأَة: بعلها. وزوج الرجل: امرأَته؛ والرجل زوج المرأَة، وهي زوجُه وزوجته وكلّ شيئين اقترن أَحدهما بالآخر: فهما زوجان.

والزَّوْجُ: خلاف الفَرْدِ. يقال: زَوْجٌ أَو فَرْدٌ، وقال تعالى: وأَنبتنا فيها من كل زوجٍ بَهيج، قال ابن سيده: ويدلّ على أَن الزوجين في كلام العرب اثنان قول الله عزَّ وجل: وأَنه خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثى؛ فكل واحد منهما كما ترى زوج، ذكراً كان أَو أُنثى. وقال الله تعالى: فاسْلُكْ فيها من كلٍّ زَوْجَيْن اثنين[٢٥].

ونحن نتناول موضوع الزواج هنا من الناحية التراثية وليس من باب البحث العلمي الشامل، حتى لا نخرج عن المسار الذي رسمناه لأنفسنا لبحث عاداتنا وتقاليدنا وموروثاتنا الشعبية. ولذلك نريد أن نركّز هنا على الطرق التي اتّبعها أهلنا في منطقة النقب والتي يتمّ من خلالها أو ضمن إطارها إجراء مراسيم الزواج، وهي تتلخّص في الطرق التالية:

(٢٥) – لسان العرب: مادة "زوج".

الزواج التقليدي:

وهو الزواج الرسمي الذي يتقدم فيه رجلٌ لطلب يد فتاة أو امرأة من أهلها، وهذا النوع من الزواج هو الأكثر انتشاراً وشيوعاً بين الناس، وهو النوع السائد في مجتمعنا، حيث تأخذ المراسيم الشرعيّة مكانها فيه من حيث العقد الشرعيّ حسب الدين الإسلامي الحنيف. وتجري المراسيم بأن يتقدم أهل العريس ووجهاءٌ من قومه لوالد العروس وأهلها، ويطلبون يدها، وإذا تمَّت الموافقة يقرأون الفاتحة ويتفقون على المهر وربما على بعض الشروط التي يطلبها أهل العروس، وكذلك على يوم الزفاف أو "يوم الأخذ" كما يسمّونه ثم تتمّ المباركة بقولهم: "مبروك.. إن شاء الله يكون كعبها أخضر عليكم ويكون منها الذَّرَى والذريّة"(٢٦). وعندما يعود أهل العريس إلى بيوتهم ويخبرون بما تمّ من أمر الخطوبة تبدأ النساء بالزغاريد والمباركة، وتتوافد النساء يباركن لأم العريس وكذلك الشباب يباركون للعريس بهذه المناسبة السارة.

وهذا الزواج يتمّ فيه كما هو معلوم زواج شاب وفتاة، أو رجل وامرأة ويكون مبنياً على شخصين فقط لا يتعداهما.

(٢٦) – الذَّرَى: هو ما يُستتر به من الريح والمطر وما شابه، والذريّة هي النسل، والمعنى أن يكون نسلها كثيراً مباركاً، ويكون أولادها عوناً لأبيهم وستراً له من ظروف الزمان وتقلباته.

زواج البَدَل:

هو زواجٌ يتمُّ خلاله تزويج أربعة أشخاص، أثنين من الذكور واثنتين من الإناث، وهذا النوع من الزواج منتشر في مجتمعنا بشكلٍ كبير، وإن كان في السنوات الأخيرة قد أخذ طابعاً بفضل الوعي الديني يتلاءم بشكلٍ أو بآخر مع روح العصر. وذلك من خلال عدم ربط أي طرف من الزواجين بالطرف الآخر فيما لو حدثت مشاكل مستقبلية بين طرف من الأطراف فلا يكون ذلك على حساب الطرف الآخر الذي قد يكون يعيش في تفاهم ووفاق، ويتمّ الاتفاق بهذا الخصوص بين الجانبين بحضور المأذون الشرعي الذي غالباً ما يسجّل ذلك الاتفاق ضمن الشروط الموجودة في وثيقة عقد الزواج.

وزواج البَدَل يحدث إذا كان لإحدى العائلات ابن وابنة (ولد وبنت) في سنّ الزواج، فحينها يبحث الأب عن عائلة تناسبهم من حيث الحَسَب والنَّسَب، سواء كانت من أبناء حمولته المقرّبين أو من أي عائلة أخرى يكون بينهم نَسَب سابق، أي تكون مَنْسَبَاً لهم كما يقولون.

ويتمّ الاتفاق بين الطرفين على المُبَادلة حيث يُزوّج كلّ أب من الطرفين ابنته لابن الرجل الآخر شريطة أن لا تكون هناك ممانعة من أحد الأبناء

أو البنات، لأن الزواج يكون بالرضى والاتفاق ولا يُفرض فرضاً على أحد من الأبناء، حتى يُبنى على التفاهم والوفاق منذ البداية.

والهدف من زواج البَدَل هو تزويج البنت قبل الولد لأن الولد يمكن أن نبحث له عن زوجة متى شئنا، أما البنت فالوضع يختلف ولا يمكن أن نبحث لها عن عريس لأن: «اللي بيدَلِّل على بضاعته بتبور[٢٧]»، ويقولون كذلك: «دوِّر لبنتك قبل ما تدَوِّر لولدك[٢٨]»، لأن الزواج يصون العِرض ويحمي الشرف ويحفظ الكرامة والعفّة وماء الوجه، وعِرض الإنسان كالزجاج إذا انكسر يصعب جبره وإصلاحه والمثل الشعبي يقول: «العِرض ما بينحمى بالسيف[٢٩]»، فالزواج يحفظ للمرأة شرفها وعفّتها كما ذكرنا، ولذلك يكون للصهر أو "النسيب" احترامه وقيمته، لأنه يستر الوليّة ويقولون: «النبي فَرَش عباءته لنسيبه[٣٠]»، وكذلك: «كون نسيب ولا تكون قريب[٣١]».

أما إذا كبرت الفتاة عند أهلها وفاتها قطار الزواج فإن القلق يأخذ مجراه

(٢٧) – من الأمثال البدوية، ص ٥٠.

(٢٨) – المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢٩) – المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٣٠) – المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٣١) – المرجع السابق، ص ١٧٨.

من نفس والدها، وربما تسأله والدتها لماذا لا يُدبِّر لابنتهم زواجاً فيجيبها متذمراً: "ماذا تريدين مني، هل أمسكها من يدها وأُدَلِّل عليها في السوق؟ وتردّ الوالدة بقولها وكأنها تُعزّي نفسها: "بيجيها ابن الحلال"، وتضيف متمثلة بالمثل الشعبي: «خلّي السمن في جراره لما تجيك أسعاره[٣٢]»، دلالة على عدم الاستعجال لأن: «اللي بتصبر بتنول»[٣٣]، أي تنال منيتها ومبتغاها بفضل تحمّلها وصبرها.

أما إذا أُغلقت جميع الطرق في وجه الفتاة ولم يتقدّم أحد من الناس لطلب يدها، أو إذا لم يكن لها أخ يبدِّل بها فغالباً ما يلجأ والدها لطريقة ربما لا يجد غيرها في تلك الظروف وهي أن يقوم هو بالتبديل بها، ويزوجها لرجل متزوج في مثل سنّه فتكون تنتظرها ضرّة لا تتفق معها في كثير من الأحيان، وتعيش في ظلّ تلك الظروف مهما كانت قاسية، بينما يتزوج هو ابنة ذلك الرجل حتى لو لم تكن لديه رغبة في الزواج.

أما إذا أبعد قطار الزواج كثيراً عن الفتاة، فإنها تجد في كثير من الأحيان من يتقدم لطلب يدها ولكنه لا يكون شاباً بل يكون كهلاً في متوسط العمر، ويتزوجها على ضرة، أو ربما يتزوجها أحدهم إذا مرضت

(٣٢) – المرجع السابق، ص ٩٤.

(٣٣) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

زوجته وطـال مرضـها أو إذا توفيـت في بعـض الحـالات، لتعمّـر لـه تلـك الزوجـة بيتـه وتقوم برعاية شؤونـه وشؤون أولاده وأسرتـه.

ومن هنا نرى أن النـاس في مجتمعنـا قـد لجـأوا إلى طريقـة زواج البَـدَل للأسباب المذكورة، وربما نضيف أيضاً بأن بعض العـائلات المسـتورة ربمـا تلجأ لذلك ليكون لديها متسع من الوقت تشتري خلاله المصوغات والملابس وكل متطلبات العروس، وكذلك يلجأ إليه البعض لحجز فتاة معينة حتـى لا يتقدم أحدٌ لطلب يدها ويغلقون بذلك الطريق أمام الخاطبين.

وقد يكون البَدَل بين جيلين متفاوتين، أي أن يزوج الرجل ابنه من فتاة في جيله مثلاً على أن يزوج ابنته الصـغيرة لابـنهم بعـد عـام أو عـامين أو أكثر، وإذا لم يُوفَّق الـزواج الثـاني لسـبب مـن الأسـباب كـرفض الابـن أو الفتاة، أو وفاة أحدهما أو غيره من الأسباب، فإنَّ الأب يـدفع مهـراً لوالـد العروس في مثل هذه الحالة.

ولا بد أن نشير إلى أن زواج البَدَل كثيراً ما تحدث به المشاكل والخلافات، فقد يتخاصم أحدهم مع امرأتـه فيطردها أو يطلقها، فيضطر الثاني الذي يعيش في وفاق مع امرأته أن يقابله بمثل صنيعه، وإن لم يفعل فإن الأول الذي طرد زوجته يستدعي أخته ويحجزها عنده حتى

تنتهي المشكلة إما بعودة النساء إلى بيوتهن وإما بطلاقهن ولذلك نجدهم يقولون: "البَدَل قلة عَدَل[٣٤]"، أي قلة عَدْل وإنصاف.

زواج المثالثة:

هي طريقة يُزَوَّج بواسطتها ستة أشخاص ثلاثة من الذكور وثلاث من الإناث، حيث أن البدل يكفل زواج أربعة أشخاص، ولكن في حالة وجود شخص ثالث له أخت ولكن ليس له من يقابله ليتبادل معه، فإنهم يقومون بهذه الطريقة حتى يتسنّى لهم تزويجهم جميعاً، وإذا لم يقوموا بها فإن ذلك الشخص يظلّ بلا زواج.

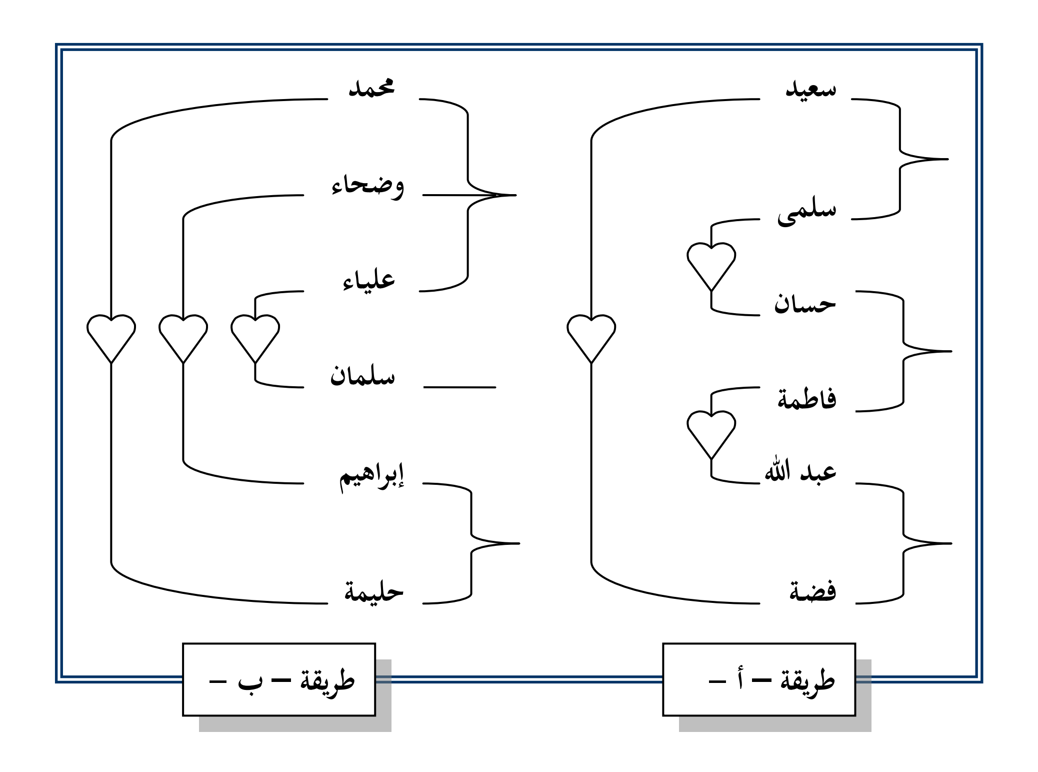
ولكي نسهِّل الأمر نقول: إن سعيداً لديه أخت تدعى "سلمى"، وعبد الله لديه أخت تدعى "فضة"، وحسان لديه أخت تدعى "فاطمة" فيتم الزواج بالطريقة التالية:

سعيد يُزوّج أخته "سلمى" لحسان، وحسان مقابل ذلك يُزوّج أخته "فاطمة" لعبد الله، وعبد الله يُزوّج أخته "فضة" لسعيد.

أما إذا كان لأحدهم أختان، ولآخر لا توجد أخت يُبدّل بها، فيتمّ الزواج بالطريقة المذكورة، ولكن الذي ليس له أخت يأخذ الأخت الثانية التي ذكرناها ويدفع مهراً لأهلها.

---

(٣٤) — من الأمثال البدوية، ص ٦٦.



رسم توضيحي يبيّن طريقة زواج المثالثة

وكانوا يستعملون هذه الطريقة من البَدَل لقلّة البنات، وحتى لا يظلّ أحد دون زواج خاصة إذا لم تكن لديه أختٌ يُبدّل بها، في الفترة التي كان ينتظر فيها الشابّ سنوات طويلة حتى تكبر الفتاة التي ينتظرها وتبلغ سنّ الزواج، وكانت نسبة المواليد من الإناث أقلّ من نسبة الذكور في تلك الفترة، وكان انتشار الأمراض والأوبئة كالحصبة والجدري يحصد أرواح الكثيرين في ظلّ التمسّك بالعادات التي لم تكن تعرف الطب أو العلاج،

وتعتمد على الرُّقَى والحُجب وبعض الأعشاب والخَرَز من الحصى وغيره. كذلك فإن المجتمع الصحراويّ كان مجتمعاً منغلقاً على نفسه، لا يختلط بأهل القرى، أو بأهل المدن إلا فيما ندر، وحتى القبائل البدويّة نفسها لم يكن من عادتها الاختلاط ببعضها البعض فنشأت من جرّاء ذلك مثل هذه الصعوبات.

وقد ظننت بادئ الأمر بأن هذه العادة قد انقضت وانتهى أمرها، ولكن أحد الأصدقاء أخبرني بأنّ فلاناً زوّج ابنه في العام الماضي بهذه الطريقة، وقد حضرتُ بالفعل عرس هؤلاء الشبّان ولكنني لم أكن أعرف حينها بأنّهم تزوّجوا بهذه الطريقة.

زواج الغُرَّة:

ليست هذه طريقة من طرق الزواج، ولكنها حالة شاذّة كان يُلجأ لها للصلح في حالة وقوع شرٍّ ودم بين قبيلتين. وبدلاً من أن يثأر أهل القتيل لدم ابنهم المقتول، فإنهم يطلبون من غرمائهم فتاة يزوّجونها لأحد أبنائهم لتنجب لهم ولداً مكان ابنهم القتيل.

ويتّفق أهلُ الفتاة على ذلك مُرغمين من أجل الصلح، وإنهاء الخلاف وحقناً للدماء بين الطرفين، ويزوّجونهم فتاة من فتياتهم زواجاً صحيحاً من حيث المراسيم، ولكنّه يكون دون رغبة الفتاة التي يُفرض عليها هذا

الزواج فرضاً، ولا تستطيع الرفض خوفاً من تعرّض أهلها وإخوانها للانتقام أو القتل في حالة استمرار الشرّ بين الطرفين.

وبعد أن تنجب تلك المرأة ابناً ذكراً وترضعه وتربّيه حتى يُفطم ويصبح باستطاعته المشي على قدميه، تُمسكه أمّه من يده وتأخذه إلى أهل زوجها وتقول لهم: "ها قد أنجبت لكم ولداً مكان ابنكم"، وبذلك يكون قد تحقّق الشرط. ويمكنها بعد ذلك أن تغادر بيتها وتعود إلى أهلها، أو أن تستمرّ في حياتها الزوجيّة إذا كانت راضية عنها.

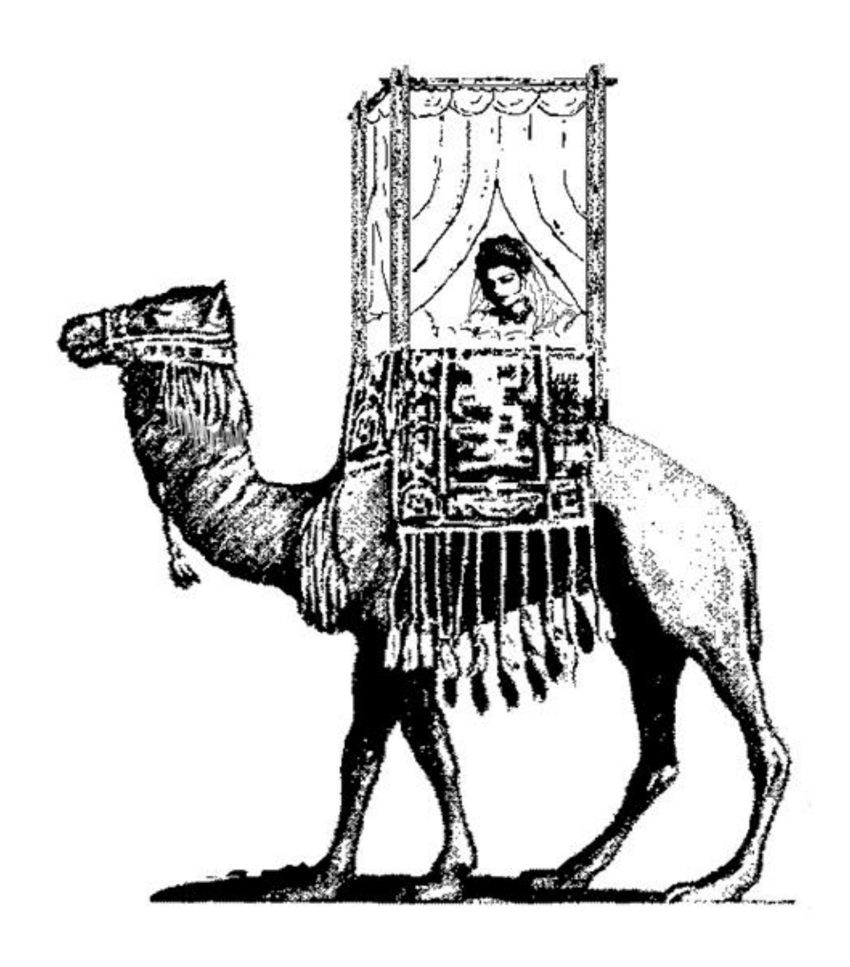
وكثيراً ما تتعرّض تلك المرأة "الغُرَّة" في ظلّ تلك الظروف إلى الإهانة والإذلال وسماع ما لا يسرّها من الكلام جرّاء ما فعل أهلها مع تلك العائلة، ولكنها كانت تتحمّل وتصبر لأنه ليس أمامها إلا الصبر، وهي هنا تُعاقب بذنب لم تقترفه، وهذه العادة ليست من الإسلام في شيء بل هي من مخلّفات الجاهلية، وقد بطلت قبل سنوات طويلة، وكانت موجودة حتى العقود الأولى من القرن الفائت.

وسمعت أمي ذات مرة تتشاجر مع أبي وهي تقول له بحنق: "أنا ماني غُرَّة عندك"، أي أنا لست غرّة عندك حتى تقسو عليّ وتعاملني بهذه الطريقة.

وهذا يدلّ على أن الغرّة كانت تُعامل بقسوة وفظاظة لأنها أُخذت كنوع من متاع الصلح ولم تؤخذ بطريقة الزواج الشرعيّ الصحيح، وقد سألت أحد الشيوخ عن زواج الغُرَّة، أو "غُرّة الدم" كما يسميها البعض، وذلك زيادة في التأكد فشرح لي مثلما ذكرت وزاد: "مسكينة كانت تتحمّل كثيراً".

وبهذا نكون قد ذكرنا الطرق التي يتمّ بها طلب يد المرأة من أهلها، وأنواعها المختلفة، والتي جاءت لتتلاءم مع طبيعة المجتمع وتسير وفق بيئته وظروفه.





الفصل الثالث

الخطوبة: في نطاق العائلة وخارجها

الخطوبة في اللغة: هي طلب يد الفتاة من أهلها للزواج، وفترة الخطوبة؛ هي تلك الفترة التي تسبق الزواج، والتي يتمّ خلالها طلب يد الفتاة من أهلها، والاتّفاق على المهر ومشتقّاته وكتابة العقد الشرعيّ الصحيح، وكلّ ما يتعلّق بأمور الزواج.

وقد تطول فترة الخطوبة أو تقصر، ولكنّها تظلّ في مجتمعنا تَحمل معنى واحداً هو عدم خروج المخطوبَيْن معاً إلا بعد الزواج، وهذا الكلام لا ينطبق على العصر الذي نعيش فيه، والذي بلغ فيه الناس شأواً بعيداً في تقليد مساويء الغرب وحضاراتهم الفاسدة.

وفترة الخطوبة إذا كانت قصيرة تكون أفضل، لأنها إذا طالت يدخلها الحسد والفتنة، وتُروَّج فيها الشائعات الكاذبة التي تَهدف لفسخ الخطوبة والتفريق بين الطرفين، ناهيك عما يُروَّج في مجتمعنا من أعمال السحر والشعوذة، وهي وإن كانت أعمالاً باطلة إلا أنها تترك أثراً سيئاً في نفس المخطوبَيْن.

والخطوبة في مجتمعنا تسير وفق معيارين مختلفين؛ فأما المعيار الأوّل فهو خطوبة الفتاة ضمن نطاق العائلة والقبيلة، في حين يتركّز القسم الثاني حول خطوبة الفتاة خارج نطاق عائلتها وقبيلتها، وهو لا يقلّ عن الأول من حيث الانتشار والشيوع والأهمية.

وتبدأ حلقة الخطوبة من أبناء العمومة، ثم تتّسع الدائرة لتصل إلى الأقارب الأكثر بعداً، فإذا كان الخاطب من أبناء عمومة الفتاة فهو بطبيعة الحال يكون على معرفة جيّدة بها، لأنه ربما يكون قد تربّى معها في نفس البيئة والمكان، وهو ليس بحاجة لمن ينقل له أوصافها أو يشرح له عنها وعن أهلها، وهنا يتمّ طلب يدها وخطوبتها بشكل عائليّ ودون كثيرٍ من المقدّمات.

وزواج الفتاة من ابن عمّها من الأمور المسلَّم بها في مجتمعنا، حتى أنه انطبع في ذاكرة الناس بأن البنت يجب أن تُزَوَّج لاب ن عمّها، ونراهم يقولون: "ابن عمها حليلها"، حتى وإن لم يكن قد خطبها بعد، وكذلك يقولون: "ولد العم بينَزِّل العروس من القْطَار[٣٥]"، والقْطَار هو رَكْب العروس، أي أنه يستطيع عرقلة زواجها ومنعه حتى لو كانت في

(٣٥) — من الأمثال البدوية، ص ٢١٩.

هودجها وفي طريقها إلى بيت العريس. ونجد النساء أيضاً يقلن: "آخُذ ابن عمِّي واتغطّى بكُمِّي[٣٦]".

والناس في مجتمعنا يرغبون في تزويج بناتهم قريباً من مكان سكناهم، إن كان ذلك على أبناء عمومتهن أو على أبناء العائلة المقرّبين، حتى يكون «ولدها في الفَزْعة وبنتها في الرَّزْعة»[٣٧]، وحتى لو رحل أهلها طلباً للكلأ والمرعى فإنها ترحل مع عائلتها معهم، وتظلّ قريبة بذلك من أهلها لأنّها "ترحل مع رحيلهم وتَحُطّ مع حطيطهم".

وربما يُفَضَّل زواج الأقارب لدى الكثيرين لمعرفتهم للبنت وأهلها وأصلها وفصلها، وهم يؤمنون بالمثل الذي يقول: «خُذ من طينة بلادك وحُطّ عَ خدادك[٣٨]»، وربما تزيد بعضهن بقولها: «خُذ من طينة بلادك ولَيِّس على خدادك»، ولا شكّ أن الأم تفضِّل أن تكون ابنتها قريبة منها حتى تكون على مدى الصوت، أي يمكنها أن تناديها وأن تطعمها من "طبخة الخبيزة" على أقل تقدير.

أما إذا كانت الفتاة جميلة فغالباً ما يحاول أبناء عمومتها منع زواجها

(٣٦) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٣٧) – المرجع السابق.

(٣٨) – من الأمثال البدوية ، ص ٩٢.

من غيرهم، حتى لو كانوا متزوّجين، لأنهم لا يحبون أن يستأثر بهذا الجمال أحدٌ غيرهم، لأنها ابنة عمهم وهم أولى بها من باب «جحا أولى بلبن بقرته[٣٩]» ويكون نصيب من يتقدّم لخطبتها من غيرهم الرفض والطرد وليس غير ذلك.

وكان الناس في السابق عندما تولد لواحد منهم ابنة أنثى يذهبون ليباركوا لوالدها بتلك المولودة الجديدة، ويطلبونها منه في نفس الليلة، وإذا كان الذي يطلبها من إخوان والد الفتاة وهو يريدها لابنه في المستقبل فلا يتردد والدها في قوله له: "تراها جَتَك عطا ما فيها ردّ جزا"، أي جاءتك بدون مقابل، وبذلك تكون تلك الخطوبة قد بدأت صفحتها الأولى وتبقى تنتظر إلى أن يصل الأولاد إلى سنّ البلوغ فتكتمل حينها المراسيم من قراءة الفاتحة وغيرها.

أما إذا كبرت الفتاة ولم يتقدّم أحد من العائلة لطلب يدها لسبب من الأسباب كأن يكون أقاربها متزوجين، أو أن يكون لأبيها عدد من البنات زوّج بعضهن وظلّ عنده عدد منهن بلا زواج، فحينها لا يبقى أمام الأب إلا أن يُزوّج ابنته لكلّ من يتقدّم لها من العائلات الأخرى إذا كان الخاطب على المستوى الذي يكفل لها زواجاً مريحاً وحياة هانئة.

(٣٩) — من الأمثال البدوية ، ص ٨٠.

وإذا حدث مثل هذا الزواج خارج نطاق العائلة فتكون الفتاة بذلك قد تزوّجت "غريبة"، ولا بد للغريبة أن تكون على مستوى خلقي لائق يخوّلها العيش مع عائلتها الجديدة والتأقلم مع ظروفٍ لم تكن تألفها من قبل. ولا بدّ لها أن تستر وجهها ووجه أهلها بتصرفاتها لدى تلك العائلة، وألاّ تنقل عنهم إلاّ كلّ خير، وكلّ صورة حسنة حتى لا يُنظر إليها باحتقار وازدراء.

أما إذا تقدّم لطلب يد الفتاة أكثر من خاطبٍ واحد فليس في هذا ما يضير لأن «البنات والخطبة[٤٠]» كما يقولون، أي أن من العادة أن تُخطب الفتيات، وكذلك فإن: «الخَطّابين مِيّهْ والجوز واحد[٤١]»، أي أنها في نهاية المطاف ستتزوّج من الذي يكون فيه النصيب منهم.

الخطوبة خارج نطاق العائلة:

أما الخطوبة خارج نطاق العائلة فلا بدّ لها من تمهيد ومقدّمات قبل التقدّم لطلب يد الفتاة حتى تسير الأمور بشكل سليم وتأتي ثمارها الطيّبة بالخطوبة والزواج.

فإذا كان لأحدهم ابن في سنّ الزواج، ورغب في تزويجه من عائلة أخرى

(٤٠) – من الأمثال البدوية ، ص ٧١.

(٤١) – المرجع السابق، ص ٩٣.

لشرف تلك العائلة أو لسمعتها الطيّبة أو لنسبٍ سابق بينهم فلا بد حينها من معرفة نيّة أهل الفتاة إذا كانوا يرغبون في تزويجها أم لا، حتى لا تعود "الجاهة" خائبة، وتُكْسَف من قِبَل أهل الفتاة، أي لا يراعى شعورها ويُرفض طلبها وفي هذا نوع من جرح الشعور والكرامة الشخصية إذا كانت الجاهة من الشيوخ والوجهاء، ويقولون في مثل هذه الحالة: "الكَسْفة ما هي زينة".

وكذلك لا بد من معرفة مواصفات الفتاة إذا كانت جميلة أم لا، أو إذا كانت على خلق، أو أنها فتاة طبيعية على أقل تقدير، وهذا حقّ لهم لأنه لا يمكن تزويج ابنهم من فتاة لا يعرفون عنها شيئاً. ولهذا الأمر تُنتدب امرأة لتجسّ لهم نبض القوم وتأتيهم بالخبر اليقين، وغالباً ما تكون تلك المرأة أم الشابّ أو أخته أو جدّته، وربما تقوم بهذا الدور امرأة أخرى ولكن ذلك لا يكون إلا في بعض الحالات النادرة فقط، وهذه المرأة وفي هذه المهمة بالذات تسمى "النَّقّادة".

النَقَّادة:

النقّادة كما قلنا هي المرأة التي يبعثها العريس أو أهله لتنقل لهم مواصفات الفتاة التي ينوون خطبتها وطلب يدها من أهلها. وسميت نقّادة لأنها تَنْقُد الفتاة أي تميّز أوصافها من جمال في الشكل ورشاقة في

الحركة، وتختبر عقلها وذكاءها، وهي مأخوذة من كلمة النقد التي تعني تمييز الجيد من الرديء، والغثّ من السمين والجميل الحسن من القبيح المستهجن.

وعادةً ما تبعث النقّادة من يخبر أهل الفتاة عن نيّتها في زيارتهم من أجل ذلك الغرض، فيكون ردّ أم الفتاة بالترحيب وقبول الزيارة وذلك بقولها: "حيّاها الله، تتفضّل في الوقت الذي تريده".

وفي اليوم المحدّد تتهيأ أم الفتاة استعداداً لاستقبال تلك الزائرة الناقدة، فتقوم في الصباح الباكر بتنظيف البيت من الداخل والخارج و"المَحَاس"؛ وهو الساحة التي أمام البيت، وتفرش المَحْرم، وهو المكان أو الحجرة الخاصة بالنساء، تفرشه بالبسط المعدّة للضيوف والفَرْشَات إن وجدت، وتكون الفتاة قد تهيأت أيضاً، ولبست ملابسها النظيفة من ثوب وشال وحزام وغيره، ومشطت شعرها وصففته بشكل يجذب الأنظار، ووضعت بعض القلائد لتتدلّى في عنقها، وربما تعطّرت بالقرنفل، ولكنها لا تضع على وجها شيئاً من الدهون أو أدوات التجميل، لأن هذا الأمر كان ممنوعاً في مجتمعنا على الفتاة التي لم تتزوّج بعد، ويسمح به للمرأة المتزوّجة في نطاق بيتها فقط.

وعند وصول "النقَّادة" تستقبلها والدة الفتاة استقبالاً حسناً وترحّب بها أحسن ترحيب وتجلسها في مكان يليق بها، ثم تأتي الفتاة وترحّب بها وتصافحها (ومصافحة النساء بالتقبيل) وتبشُّ في وجهها، وإن كانت لبقة فهي تستطيع أن تخلب لبها بحسن الحديث ولطافة اللفظ ورشاقة الحركة، والمبالغة في الكرم وتقديم الشراب والطعام، وإظهار معرفتها بفنون الطعام والطهي وغيره، وتستطيع النقّادة بعينها الثاقبة وخبرتها الطويلة أن تميّز إذا كانت هذه الحركات مجرّد تمثيل أم هي تلقائية وعفوية، ثم تودعهم وتعود إلى بيتها لتنقل لزوجها وأبنائها ما رأت وسمعت. وعندها يقولون لها: "اللي شفتيه خَرّفي فيه" أي أحكي بما سمعت وشاهدت، فإذا أعجبتها الفتاة فغالباً ما تبالغ في الوصف وتنقل صورة جميلة للغاية تجعل أهل العريس يتشوّقون لطلب يد تلك الفتاة، وحدثني أحدهم أن الأمّ تقول لابنها حينذاك: "إذا بتتجوّزها إيدك في اللبن"، كناية عن الفأل الطيّب.

أما إذا لم تعجبها الفتاة لسبب من الأسباب فإنها تذكر ذلك السبب وربما تُبدي رأيها الشخصي، الأمر الذي يجعلهم يُقلعون عن فكرة التقدّم لتلك الفتاة أو طلب يدها.

ومن هنا نرى أهمية دور النقّادة في تلك الفترة التي كان الناس يعيشون فيها في بيوتات متناثرة وعشائر متفرقة، ولا يختلطون ببعضهم البعض إلا في حالات قليلة نادرة.

هذا في حالة كون أهل العريس لا يعرفون شيئاً عن تلك الفتاة التي ينوون خطبتها، أما إذا كانت لديهم بعض المعلومات فإنهم يبعثون رسولاً من قبلهم تكون له صلة قرابة أو تأثير أيّاً كان نوعه على أهل الفتاة ليبلغهم عن نيتهم في التقرّب منهم بالنسب والمصاهرة، وإذا قُوبل ذلك الرجل بالإيجاب فإنه يأخذ منهم موعداً ليأتي فيه أهل الفتى بجاهتهم ليطلبوا منهم يد الفتاة بشكل رسميّ.

الجاهة والخطوبة:

يتوجّه والد الشابّ برفقة بعض الأقارب والوجهاء إلى أهل الفتاة في ساعات المساء، وهذه المجموعة إذا ضمّت بعض الشيوخ والوجهاء تسمى "جاهة"، ولكنها إذا كانت تقتصر على أهل الشابّ وأفراد عائلته فلا تسمّى كذلك، وعند وصولهم يستقبلهم صاحب البيت إن كان والد الفتاة أو وليّها، وبعد شرب القهوة يدعوهم لعمل القِرَى لهم ولكنهم غالباً ما يرفضون ذلك معتذرين بحجة أن: «ضيف المسا ما له عشا[42]»، وعندها

---

(٤٢) – من الأمثال البدوية ، ص ١٣٩.

يبتدره والد الشابّ بقوله: "جئنا نطلب القُرْبَ منك يا أبو فلان لابننا فلان"، فيجيبهم بقوله: "ونعم المنسب أنتم، ولكن هذا الموضوع بحاجة للتشاور، ولكم عليّ رَدّة خير بعد أسبوع"، وفي اليوم التالي يبدأ والد الفتاة بعرض الموضوع على إخوانه وأقاربه ويقول لهم: لقد تقدّم فلان وطلب يد ابنتي، والأولوية لكم، فإذا لم يقبل أحد منهم بزواجها، يكون الأب قد رفع عن نفسه اللوم، ويمكنه أن يزوّجها بعد ذلك دون أن يسأل أحداً منهم، ولا يستطيعون بعدها التدخّل أو المعارضة.

وإذا حدث بعد أن تتمّ خطبة الفتاة أن هبَّ أحد أبناء عمومتها أو أقاربها ليمنع ذلك الزواج، فإن والدها يتصدّى له ويقف في وجهه ويقول له: لقد فاتك الأمر، لأنني عرضت ذلك عليك مسبقاً، فأين كنت حتى الآن.

التبدِّي:

أما إذا تَمَّت الخطوبة خلسة بين أهل العريس ووالد العروس، فإنه قد يحدث أن "يتبَدَّى" بها أحد أقاربها، أي يكون له حقّ الأولوية في زواجها، وحتى لو كان العريس قد دفع مهرها، فإنهم يبعثون له أناساً ووجهاء ويقولون له: "ما لك قِسمة عندنا، أو ما لك نصيب عندنا"، ويمنعون بذلك زواجها، وكثيراً ما تحدث المشاكل بين والد العروس

وأقاربه الذين يمنعون زواج ابنته، لأنه ربما يقوم بعضهم بفعل ذلك لمجرد الكراهية والحسد.

المهر:

ويسمّى كذلك السِّيَاق أو الفِيد، وكان مهر ابنة العم في البداية عبارة عن جمل أصيل أو جملين، أما مهر الأجنبية فهو من خمسة جمال أو أكثر، ثم أصبح المهر عبارة عن مبلغ متعارف عليه من المال، تتغيّر قيمته من وقت لآخر حسب قيمة العملة وغلاء المعيشة، ولكنه في جوهره يكون مبلغاً يكفي لشراء مستلزمات العروس من لباس ومصاغ وما شابه.

وقيمة المهر في الزواج الذي يتمّ في نطاق العائلة والقبيلة تكون محدّدة ولا يخرج أو يشذّ عنها إلا في بعض الحالات إذا كان الأب جشعاً طماعاً، أو إذا كان من النوع الذي يستغلّ بعض الظروف خاصة إذا رأى أن الخاطب يريد ابنته بكلّ ثمن فعندها يطلب مبلغاً أكبر من المبلغ المعتاد.

أما في الزواج الذي يتمّ خارج نطاق العائلة فإن المهر يكون فيه أكثر بنسبة النصف، حتى تكون المرأة لها قيمة عند زوجها وأهله لأن «الغالي اغليه والرخيص خلّيه[٤٣]»، و «اللي وده المزيونة بيدفع المهر غالي»، أما

(٤٣) — من الأمثال البدوية، ص ١٥٣.

من تتزوّج بمهر قليل فإن العريس كثيراً ما يتركها ويهملها ويقولون في مثل هذه الحالة: «اللي بيتجوّز ببلاش بيطلق ببلاش(٤٤)».

وكان البعض لا يجد ما يدفعه مهراً لعروس ابنه فيرهن أرضه، أو يبيع ناقته و"رحولته"؛ أي الناقة التي يرحل عليها، ويستدين فوق ذلك مما يثقل عليه لفترة طويلة. ورأيتُ سَنَداً رهنَ فيه جدّي أرضه عندما زوّج واحداً من أبنائه.

القَصَلَة:

بعد أن يوافق والد الفتاة أو وليّها على الخطبة، ويتفّق الطرفان على المهر يضع العريس أو وليّ أمره يده في يد والد الفتاة ويقول له: "زوجتني ابنتك فلانة على سنة الله وسنّة رسوله، فيجيبه والد العروس بقوله: "زوجتها لك على سنة الله ورسوله، وهنا يردّ العريس أو وليّه بقوله: "وأنا قَبِلْتُها على سنّة الله ورسوله، ثم يأخذ والد العروس "قَصَلة"؛ وهي عبارة عن عود يابس من القشّ ويناوله إلى الخاطب، ويقول له "هذه قَصَلة فلانة أعطيها لك على سنّة الله ورسوله، إثمها وخطيئتها في رقبتك من الجوع والعَرَى ومن أي شيء نفسها فيه وأنت تقدر عليه"،

(٤٤) — من الأمثال البدوية ، ص ٤٨.

فيتناول الخاطب القَصَلَة ويقول: "قبلتها على سنّة الله ورسوله". ثم يؤكد له بأنها ستكون محلّ رعايته وذلك بقوله: "اللي بياخذ له رطل لحم ما بيفرِّط فيه".

ثوب اللبن:

بعد أن يتمّ الاتفاق على المهر، وتتمّ المصافحة وقراءة الفاتحة يقول والد العروس للعريس: "ارْضِ أمّ العروس"، وعندها يُسمح للعريس أن يرى حماته ويصافحها فتبارك له وتدعو له بالخير، ويدفع لها مبلغاً من المال ثمناً لإرضاعها للعروس وتربيتها الطيبة لها، ويسمى ذلك: "ثوب اللبن"، أو "ثوب الرضاعة"، وثوب اللبن يساوي ما قيمته اليوم ألف شيكل. وهو للأمّ تفعل به ما تشاء.

البَلْصَة:

لا تكون البَلْصَة في الزواج الذي يتمّ في نطاق العائلة، أما إذا كان الخاطب من عائلة أخرى فإن بعض الأعمام أو الأخوال يتظاهرون بعدم الرضى عن هذه الخطوبة وحينها يقوم والد العريس بإرضائهم بثمن عباءة أو أكثر بقليل، وتسمّى هذه الترضية "بلصة العم" إذا كانت للعم، و"بلصة الخال" إذا كانت للخال.

والبَلْصَة عادة مكروهة وتدلّ على الاستغلال الذي لا مبرّر له، وهي اليوم قليلة أو نادرة في مجتمعنا، وإن كانت آثارها لا تزال باقية في بعض القرى والأرياف.

المباركة:

بعد أن تتمّ الخطبة وقراءة الفاتحة يتوافد الأقارب والأصدقاء مهنئين للعريس وأهله بهذه المناسبة السارّة، وكذلك تتوافد النساء على أم العريس لتهنئتها بخطوبة ابنها وقد تستمر وفود المهنئين لعدة أيام، بينما تستمر المباركة للعريس حتى يوم الزفاف.

ذبلة الخطوبة:

هي تلك الحلقة الذهبيّة التي يضعها العريس في أيامنا في إصبع عروسه وتضعها العروس في إصبع عريسها في "يوم التلبيسة"، ولم تكن هذه العادة معروفة في مجتمعنا، وهي كما يقول الأئمة عادة نصرانية قلّد فيها المسلمون الغرب، أما أهلنا في النقب فلم يكونوا يستعملونها البتة.

كراهية الزواج بين العيدين:

من عادة البدو ألاّ يتزوّجوا بين العيدين، أي إذا تَمَّت الخطوبة بعد عيد الفطر فإنهم يؤجلون الزواج إلى ما بعد عيد الأضحى، ولا أدري ما أصل

هذه العادة ولكنها كانت سائدة في مجتمعنا، وكان يسود الاعتقاد بـأن مـن يتزوّج بين العيدين يحدث له مكروه، وقد يكون ذلك من بقايا عادة قديمة تمنع الزواج في الأشهر الحرم والله أعلم.

العيدية:

أما إذا مرّ أحد الأعياد قبل أن يتمّ الزواج فيجب على العـريس أن يقـدّم هديّة بسيطة لحماته ولخطيبته، وهذه الهديّة تسمى "عيدية"، وغالباً مـا تنقل هذه العيدية والدة العريس لأنــه لا يسـمح لـه برؤيـة خطيبتـه قبـل الزواج.





الفصل الرابع

كسوة العروس من الملابس والثياب

بعد أن تتمّ الخطوبة ويُدفع المهر ويتّفق الطرفان على موعد الزفاف يسود جوّ من الأُلفة والمحبّة بين العائلتين، وتصبح العلاقات الأُسريّة أكثر ترابطاً وانسجاماً من ذي قبل، لأن المصاهرة ترفع الحواجز وتزيل السدود حيث أن النساء يُقَرِّبنَ الرجال، أو كما يقولون: "النسوان بيقَرّبن الزلام[٤٥]"، وربّما لا يكون ذلك الانسجام في جميع الحالات ولكنه يكون في الكثير الغالب منها.

ثم ينشغل أهل العروسين بعد ذلك في إعداد جهاز العرس وشراء مستلزماته أو ما يسمى في مجتمعنا بـ"الكِسْوة"، أو "كسوة العرس".

والكِسْوةُ أو الكُسْوةُ تعني اللباس، يقال: كَسَوْتُ فلاناً أَكْسُوه كِسْوةً إِذا أَلبسته ثوباً أَو ثياباً فاكْتَسى[٤٦]، والكِسْوَة في لغتنا الدارجة تعني جهاز العروس من الملابس والثياب وتوابعهما، وهذا ما سنوضحه ضمن سياق هذا الباب بعون الله تعالى.

---

(٤٥) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٤٦) – لسان العرب: مادة "كسا".

الثوب:

الثوب هو اللباس الرئيسي للمرأة، وهو رداء ساتر يغطّي جسمها كلّه ويتدلّى حتى يكاد يلامس الأرض ويغطّي بذلك الكعبين، وهو فضفاض لا يضغط الجسم ولا يُظهر تفاصيله وتقاطيعه ولا يُبرز شيئاً من مفاتنه، وهو مكوّن من قماش أسود اللون سميك غير شفّاف لا يسمح برؤية أي شيء من ظلال الجسم وخياله.

ولم يكن اختيار اللون الأسود محض صدفة وإنما هو من أجل ذلك السبب لأنه يستر أكثر من غيره من الألوان، ولذلك كان اللون الأسود هو اللون السائد في مجتمعنا ولم يُستعمل أي لون آخر سواه. أما الألوان الأخرى التي استخدمت فيما بعد في صنع ثوب المرأة كاللون الأحمر العِنّابي، والأزرق الكُحلي، والأبيض وغيرها من الألوان فقد جاءت بعد حرب عام ١٩٦٧ من قرى القدس ورام الله والخليل والبلدان الأخرى المجاورة ولم تكن مستعملة في الصحراء من قبل، ثم انتشرت بعد ذلك في مجتمعنا.

أما ثوب العروس فعادةً ما يكون مُطرزاً بالخيوط الحريرية الناعمة ذات الألوان الجميلة الزاهية والتي يغلب عليها اللون الأحمر الذي يدلّ على الشباب وغضاضته وعنفوانه، وربما تكون ثياب العروس أسهل ما في كسوتها، ذلك أن الفتاة ومنذ صباها المبكّر تتعلّم من أمها فنّ التطريز

وتفصيل الثياب[٤٧]، وتبدأ تخيط وتُطرّز في أوقات فراغها بعض الثياب وتخزنها للفترة التي تتزوّج فيها، ولذلك نجدها عند الزواج قد أعدّت وأنجزت عدداً لا بأس به من هذه الثياب، تصطحبها معها في رحلتها السعيدة إلى بيت الزوجية، وكلما تأخّر زواج الفتاة يزداد عدد ثيابها لأنها تظل تطرّز كالعادة وتقضي أوقات فراغها في هذه الهواية المحببة.

التنورة:

التنورة هي الرداء الذي يُلبس تحت الثوب، وهي تصنع من قماش حريريّ ملوّن وذي ألوان زاهية، وكانت المرأة تخيط تنورتها وتفصّلها بنفسها لعدم توفر ماكنات الخياطة في ذلك الوقت، وإذا كانت العروس صغيرة السنّ فإن أمها تفصّل لها التنانير وتخيطها لها، أما إذا كانت كبيرة بالغة فإنها تقوم بذلك العمل بنفسها. وكانت التنورة واسعة غير ضيقة حتى تسمح للجسم أن يتحرّك بحريّة، ولها أكمام واسعة أيضاً ذات "زَمَّة" عند رسغ اليد، وتغطي هذه الأكمام سواعدَ المرأة إذا ما لبست ثوباً من نوع "أبو رديّن" الذي تُشَمَّر أكمامه الطويلة وتُعقَد وراء الرقبة.
وكانت التنورة قصيرة نسبياً لا يتعدّى طولها الركبة إلا بقليل، حتى لا تعيق حركة المرأة عند المشي، وحتى لا تتعرقل بها أو تتعثّر في أطرافها.

---

(٤٧) — أي قصها وتركيبها.

أما إذا كانت التنورة طويلة وتُركت لتنساب حتى تظهر أطرافها من أسفل الثوب فهذا يدلّ على أن تلك المرأة لا تهتم بمظهرها وهندامها، ويقال عنها حينذاك: "ما لها رِبْعَة على نفسها"، أي أنها لا تهتم بشكلها وزينتها.

ولم تكن التنورة منتشرة في عصر أمهاتنا بشكلٍ كبير، حيث أن العديد من النساء كن يتزوجن وليس عليهن إلاّ "طَرَقَة الثوب"، إي إلا الثوب وحده كما حدثتني بذلك إحدى العجائز.

الصُّوفِيّة، أو حزام الشَّدّ:

الصوفيّة: هي قطعة من القماش الصوفيّ الخفيف، مربعة الشكل ومهدّبة الحواشي وهي بحجم الشال الكبير ومقاسها ١٢٠سم × ١٢٠سم، وهي بلونين؛ فمنها اللون الأزرق واللون الليلكي أو الزهري، وكانت تصنع في مدينة بيت لحم، وكانوا يطلقون على اللون الزهري منها "لون تلحمي" نسبة إلى بيت لحم، لأن النسبة لبيت لحم تسمى تلحمي لأنه اسم مركّب. وتطوي المرأة تلك الصوفيّة عدة طيّات حتى يصبح عرضها حوالي ٢٥ سم أو أكثر بقليل وتلفّها لفَّتَين حول خصرها وتعقد أطرافها وراء ظهرها، أما الفتاة التي لم تتزوّج فتتمنطق بالصوفية ذات اللون

الأزرق، وكـذلك المـرأة المتقدمـة في العمـر. أمـا المـرأة الشـابة فتتمنطـق بالصوفية ذات اللون الأحمر الزهري.

والصُّوفِيّة تسمى عند بعض العائلات في النقب: "حزام شَدّ"، ربمـا لأنهـا تُشَدّ حول الوسط، وتُسمّى كذلك حزام صوف، لأنها مصنوعة مـن الصـوف الخالص بنسبة مئة بالمئة. وكثيراً ما تضع المرأة بعض نقودهـا أو أشـيائها الصغيرة في ثنيّة من ثنايا الصوفيّة التي تشدّها على وسطها.

ويوجد على أطراف الصوفية شريط طولي بلون مختلـف عرضـه حـوالي ١٠ سم، وهو بلون زهـريّ في الصـوفية الزرقـاء، وبلـون أزرق في الصـوفية ذات اللون الزهريّ.

أما العروس فيكون حزامها بطبيعة الحال من فئة اللون الزهـريّ نظـراً لشبابها ولما يتطلبه وضع العروس من لبس كلّ مـا هـو زاهٍ وجميـل يضـفي عليها مسحة من الأناقة والبهاء.

السَّلْطَة:

هي رداء مطرّز بتطريز كثيف يكثر فيه اللون الأحمر، وله أكمام ملونة ويصل طوله حتى الخصر لا يتعدّاه وتلبسه المرأة فوق الثوب.

التقصيرة:

هي رداء يشبه السَّلْطَة إلا أنه بلا أكمام، وهو أقل تطريزاً من السَّلْطَة.

السراويل:

أما السروال فلم يكن منتشراً بمفهومنا اليوم، ولكن كانت بعض النساء تخيط بعض هذه السراويل التي تفصّلها بنفسها لاستعمالها الشخصي لتلبسه تحت ثوبها، وكانت المرأة تخجل إذا ما ظهر شيء من طرف سروالها، ولذلك نراها حريصة أن لا يظهر شيء منه وإلا تعرّضت لنقدٍ لاذع من بعض النسوة ممن تقدّم بهن العمر، أو حتى ربما تتعرّض منهن لشيء من السخرية التي قد لا تروقها.

الجوارب:

أما الجوارب فلم تكن تستعمل في العصر الماضي، وكانت بعض العجائز تعيب لبس الجوارب لأنها ليست من عاداتنا كما كانت تقول، وسمعت عجوزاً تقول لامرأة أصغر منها سناً بشيء من السخرية: "لابسة جرابين ما شاء الله عليكِ"، وكان ذلك في بداية السبعينيات أي قبل أكثر من ثلاثين عاماً، كذلك كان لبس الحذاء غير منتشر بما فيه الكفاية، ولذلك لم تكن هناك حاجة ماسة للبس الجوارب في ذلك الحين.

الحذاء:

كان الحذاء موجوداً، ولكنه كان قليل الاستعمال في مجتمعنا، وحدثتني إحدى العجائز بأنها تزوّجت حافية دون حذاء، وكذلك تزوّج

الكثير غيرها في وضع مشابه، ولم يكن في ذلك أي شيء من الغرابة، وليس فيه ما يعيب، لأنه كان من الأمور الشائعة والمألوفة في ذلك الوقت.

وربما كانوا يعتبرون استعمال الجوارب والأحذية نوعاً من الكماليات فاقتصر استعمالها على بعض العائلات الميسورة دون غيرها. وبما أن الغالبية العظمى من الناس كانت تعيش في وضع مادي صعب وغير مريح، فنادراً ما كانت تحصل العروس على شيء من هذه الأشياء.

أغطية الرأس:

الشاش:

هو شال أبيض خفيف تُطرّز حواشيه ببعض الأشكال الخفيفة الملوّنة وكذلك وسطه، وقد يُترك أحياناً بلا تطريز، يوضع على الرأس فيغطيه ما عدا الوجه وينسدل ليغطي الظهر والجوانب وقد تُمسك أطرافه باليد فيغطي الصدر، أو توضع أطرافه الأمامية تحت حزام الصوف فيمنعها من التدلي ويمسكها لتغطي الصدر والجانبين. وتلبس المرأة شاشها في البيت دون أن تغطيه بشيء، وتغطيه بالقُنْعَة السوداء إذا أرادت الخروج إلى أي مكان خارج البيت.

والشاش ليس الشال؛ فالشال ذو أطراف مهدّبة وبه ألوان زاهية مختلفة، وعادة ما تتقنّع بـه النسـاء في القـرى، ولم يكـن يسـتعمل في مجتمعنـا في النقب من قبل.

وتجدر الإشـارة إلى أن الشـاش لم يُعـرف إلا مـن حـوالي ٤٠ سـنـة أو أقـل حيث كانت القنعة تحلّ مكانه.

ويسمّى الشاش في قـرى الخليـل "غُدْفـة"، أمـا في قـرى القـدس فيسـمّى "خِرْقة"، حيث تقول المرأة: "لبست غُدْفَتِي، أو خِرْقَتِي".

القُنْعَة:

هـي قنـاع أسـود خفيـف تُطـرّز حواشـيه بـبعض أشـكالٍ مـن التطريـز الخفيف، وتطرز الفتيات بعض الأشكال الملونـة في وسط القنعـة، وهنـاك من تخيط أزراراً وخرزاً في قنعتها، وكانت المرأة تتفنّن في تطريـز القنعـة حيث ترسم عليها بالخرز أو الدِّمْدِم (وهو نوع من الخرز الصـغير الملـوّن) أشكالاً جمالية مختلفة، وربما قامت بوضع بعـض القـروش البيضـاء علـى قُنعتها.

وهذا محصور في بعض العائلات فقط، بينما في عائلات أخرى تكون القنعة بلا تطريز.

وتَقَنَّعَتْ المرأة أي لبست القُنْعَة، وتقول المرأة أحياناً لابنتها: تَقَنَّعِي؛ أي ضعي القناع على رأسك إن كان شاشاً أو قُنعة.

العَبَاة:

هي عباءة سوداء قاتمة اللون ذات لون واحد، سميكة جداً وثقيلة الوزن وبها زخرفة على أطرافها أشبه بالزخرفة المقصّبة على عباءة الرجل ولكنها باللون الأسود فلا تكاد تبين.

وكان من شروط الزواج أن يشتري العريس عباءة لعروسه قبل الزواج حتى تتقنّع بها عند الزفاف، ومن أقوالهم عند الخطوبة: "زوجني إياها ولو بثوب وعباة وبرقع ووقاة"، أي يكفيهم هذه الأشياء لتجهيز العروس حيث أنها تضمّ الأشياء الأساسية من لباس للجسم وغطاء للرأس ومصوغات ذهبية تكون على البرقع والوقاة.

وتُلبس العباءة عادة عند الخروج إلى السوق أو إلى سفر، أو عند الذهاب إلى أناس "غرباء" ليسوا من العائلة كعرس أو مأتم أو غيره.

المنديل:

هو غطاء حريريّ ناعم، به أشكال ملونة مختلفة يُطْرح على الرأس ويُشدّ وتُعقد أطرافه خلف الرأس، ويُغطّى بالقناع إن كان قُنْعَة أو شاشاً أو غيره. وفي البيت تتخفّف المرأة من الشال أو القنعة وتبقى بالمنديل فقط.

النقاب:

هي قطعة من القماش الأسود يُغطّى بها الوجه حتى أسفل العينين وتُربط أطرافها خلف الرأس.

🖹 – وتَنَقَّبَت: أي لبست النقاب. وفي اللسان: النِّقابُ، عند العرب، هو الذي يبدو منه مَحْجِرُ العين(٤٨).

اللَّثْمَة:

هي اللثام؛ وهي أن يُلَفّ طرفُ الشال الأبيض على الوجه حتى طرف الأنف، وليست هناك قطعة قماش خاصة تسمى اللثام، بل هو ما يُلَفّ على الوجه والفم من الشال كما ذكرت.

🖹 – وتَلَثَّمَتْ: أي شَدَّت اللثام على وجهها وفمها. وفي اللسان: اللثام: رَدُّ المرأَة قِناعها على أَنفها وردُّ الرجل عمامَته على أَنفه(٤٩)، وفي مكان آخر من اللسان: إِذا أَخذتَ عمامةً فجعلتها على فيك شِبْه النقاب ولم تبلغ بها أَرنبة الأَنف.

---

(٤٨) – لسان العرب: مادة "نقب".

(٤٩) – نفس المصدر: مادة "لثم".

وتجدر الإشارة إلى أنه في بعض العائلات تضع النساء لثاماً من قماش أبيض اللون وعليه بعض التطريز وهو يشبه النقاب إلى حدٍّ كبير ولا يختلف عنه إلا في اللون.

الوقاة:

هي غطاء للرأس شبيه بالقلنسوة وهي مصنوعة من القماش الأسود المبطّن بطبقة قماش أخرى، وتكون الطبقة العليا مطرّزة من الأعلى ببعض الأشكال الجميلة، حيث تُصفّف عليها من الأمام قطع فضيّة في شكل شريط متناسق يكون فوق جبهة المرأة، وقد يتدلّى حبلان من الخرز من جانبي الوقاة، ينتهي كل واحد منهما بقطعة فضية أو معدنية، وكذلك تُشدّ بخيط يمر من تحت الحنك تتوسطه قطعة ذهبية كبيرة. وقد سُمِّيَت "الوقاة" بهذا الاسم لأنها وقاء للرأس وغطاء له، والوقاة تعصب الرأس وتمنع القناع من الانزلاق والسقوط عن رأس المرأة .

البرقع:

يمكن تعريف البرقع بأنه غطاء يُسدل على الوجه فيغطي أكثره ويخفي مواقع الجمال منه، ويُشدّ على الجبهة بشريط قماشيّ سميك مطرّز بالحرير الأحمر وينتهي بخيوط تُربط خلف الرأس، ويُشبك من الأمام في جبهة الوقاة، وله خيوط أخرى تُثبّته على الرأس، وتتدلى من البرقع

أطوافٌ من القطع الذهبيّة والفضيّة المتراصّة، وحبال من الخرز الثمين المتعدّد الأشكال والألوان، وبعض السلاسل الفضية أو المعدنية، ويعتبر البرقع من أهم الأشياء التي تحتفظ بها المرأة لأنه يحتوي على كمية الذهب التي تملكها، والذي هو مهرها وعَرَق رقبتها كما يقولون. وقد تبيع المرأة برقعها أو بعض القطع الذهبية التي عليه، إذا اشتدّت بها الحال وساء وضع عائلتها المادي.

ونقول تَبَرْقَعَت المرأة: أي أسدلت البرقع على وجهها.

ومن أجزاء البرقع وملحقاته:

الشبيكة:

أو شْبيكة البرقع، وهي قطعة قماش حمراء مثلثة الشكل، تُغرز في جبهة البرقع، ويكون عليها ثلاثة أطواف من الذهب (المشاخص، المجرّات، الخِيرِي)، وعندما تسدل المرأة برقعها على وجهها تتدلّى الشبيكة معه، وعندما ترفعه، تظهر الشبيكة على الجبهة.

المطواح:

والجمع مطاويح؛ هو حبل من الخرز (من خرز الطَّرْف، أو المَرْجَان) يتدلّى على جانبي البرقع، ويكون في آخره بعض القطع الفضيّة أو

الذهبيّة، وقد تتخذ المرأة شريطاً من القماش وتضع عليه صفّاً من المجرات (سَلَبَة واحدة) أي سرباً واحداً كما حدثتني عمتي بذلك.

العَصْبَة:

هي قطعة من القماش يُعصب بها الرأس، ولم تكن تستعمل في منطقتنا ولكنها كانت تستعمل في أقصى الجنوب.

القراميل:

هي لَفَّة من الخيط تشبه الشراشيب لُفَّت عليها خيوط ملوّنة، تضعها المرأة في نهاية قرونها. وفي اللسان: "والقَرامِيل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأَة شعرها. الجوهري: القَرامِل ما تشدُّه المرأَة في شعرها. وفي الحديث: أَنه رخَّص في القَرامِل، وهي ضفائر من شعر أَو صوف أَو إِبريسم تصِلُ به المرأَةُ شعرها"[٥٠].

ويَعْلَقُ بذاكرتي بيت من شعر "العتابا" كان أبي يردده كثيراً ولكنني لا أذكر تكملته والبيت هو:

يا لاهي قُلْ لأبو القَرْمُول عُقْ بي .... واصبر عَ الجفَا والضَّيْم عُقْبي

وهذا نوع من التغنّي بالمرأة التي تلبس القرمول، وهو يدلّ على أن النساء كن يضعن القراميل في قرونهن.

---

(٥٠) – لسان العرب: مادة "قرمل".

وما دمنا بصدد الأقنعة التي تستعملها المرأة، فهناك بعض المصطلحات ذات الصلة بالموضوع نذكر منها:

تَخَنْفَشَت المرأة: أي غطّت وجهها بطرف قناعها فلم يظهر شيء منه، وأبقت فتحة صغيرة عند العين تمكنها من الرؤية.

فَرَّعَتْ: أسْفرت وكشفت وجهها دون أن تنزل قناعها من على رأسها.

ضَبَّت(٥١) على حالها: أي غطّت وجها وتقنعت.

وتنقبّت، وتلثمت، وتقنعت وهو ما شرحناه في سياق النص.



(٥١) – لسان العرب: مادة " ضبب". وأَضَبَّ الشيءَ: أَخفاه.والضَّبُّ والتَّضْبيبُ: تغطية الشيء ودخول بعضه في بعض. يلفظها العامة بالظاء فيقولون: " ظَبَّتْ"، وأهل البادية يلفظون الضاد ظاءً كما يلفظها العراقيون.

الفصل الخامس

كسوة العروس من الحليّ والذهب

تحدثنا في الفصل السابق عن كسوة العروس من الملابس والثياب ونريد في هذا الفصل أن نتحدث عن المصوغات والحليّ الذهبية التي تتزيّن بها العروس بشكلٍ خاص والمرأة بشكلٍ عام، والتي تزيدها أناقة وجمالاً إضافة إلى ما أودع الخالقُ سبحانه فيها من الأنوثة والجمال، وجعلَ فيها ما يشدّ قلبَ الرجل ويُحبّبها إليه حتى تتآلف القلوب وتسود المحبّة، وتتكوّن الأُسَر السعيدة ويستمر النسل المبارك لتمضي قافلة البشرية في اضطرادها إلى أن يشاء الله.

والمرأة بطبيعتها الأنثوية تحبّ هذه الحلى الذهبية لأنها تتزيّن بها وتشعر بأنها تضفي عليها بريقاً من الجمال يزيدها ألقاً وبهاءً، فنراها تُزَيِّن بها مواقع مختلفة من جسمها، فتضع بعضاً منها في معصميها، وبعضاً آخر في شَعْرِها أو في أنفها وأذنيها، وتترك بعضها يتدلّى على صدرها في قلائد ذهبيّة برّاقة كأنها نجوم صغيرة تتلألأ على صدرها، وتشدّ بعضاً منها على عنقها في طوق مرصّع بحبيبات ذهبية صغيرة، أو بأشكال مزخرفة أخرى، ولذلك نرى تعلّق المرأة بمصوغاتها الذهبيّة

وارتباطها الوثيق بها لقيمتها الثمينة، وأهميتها الكبيرة في إكساب المرأة ما يرضي غرورها من الزينة والجمال.

وفي اللغة: "الحَلْيُ كلّ حِلْيةٍ تزيَّنت بها المرأَة من مَصوغِ المَعْدِنِيَّاتِ أَو الحجارةِ، والجمع حُلِيٌّ. قال الله عزّ وجلّ: "من حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً له خُوار". الجوهري: الحَلْيُ حَلْيُ المرأَةِ، وجمعه حُلِيٌّ مثل ثَدْيٍ وثُدِيٍّ"[٥٢].

ولكي نأتي على ذكر أكثر هذا الحليّ نبدأ من جهة الرأس ونشرح ما عليه من الحُلِيّ ثم نَمُرّ على ذكر بقية الأجزاء بقدر ما تسعفنا به الذاكرة:

حليّ الرأس:

وهو عبارة عن القطع الفضيّة والذهبيّة والمعدنيّة التي يُزيّن بها الوجه والرأس، ويتركّز بعضها في البرقع الذي تتدلّى منه سلاسل معدنيّة تصل الكتفين، ومصفوفات أخرى من القطع الذهبيّة والفضيّة المختلفة، وهناك بعض البراقع التي تتدلّى منها قطعة مستطيلة من القماش تكاد تصل الصدر تحتشد فيها القطع الذهبيّة الصغيرة في صفوف متراصّة متناسقة.

(٥٢) – لسان العرب: مادة "حلا".

أما "الوقاة" فعليها مصفوفة من القطع الذهبيّة الرفيعة التي تُزَيِّن جبين المرأة وبعضها يتدلّى فوقه، وكذلك في الشبيكة والتي يكون عليها العديد من القطع الرفيعة والخفيفة إن كانت من الذهب أو الفضة.

والقطع الذهبيّة التي تتكوّن منها هذه الحُلِيّ هي عبارة عن قطع من العملة المتداولة في زمانها، والتي يختلف ثمنها وقيمتها حسب نوعها ومعدنها ووزنها، إن كانت من الذهب أو الفضة، ونورد هنا بعض ما نعرفه من أسمائها ونذكر شيئاً عن شكلها وصفاتها ومنها:

العُسْمَلِّي:

وهي قطعة ذهبيّة خفيفة من ضرب الدولة العثمانيّة، وجاءها هذا الاسم من الكلمة التركية عُثْمَلِّي أو عثمانلي، وقد لفظها العامة بطريقة اللهجة المصريّة التي تلفظ الثاء سيناً، وهناك من يُسمِّي ابنته «عسملّي» إذا كانت شقراء أو بها شيء من البياض، وكأنها تشبه قطعة العثملّي في صفرتها ونقائها.

المَشْخَص:

وجمعه مشاخص، وهو قطعة ذهبيّة صغيرة وخفيفة الوزن، وعدا عن استعمال المشخص للزينة فله استعمال آخر لا يقلّ أهميّة عن الأول حيث تستعمله بعض النساء في علاج تأخُّر الحَمْل، وطريقة العلاج به أن تغلي

المرأة شيئاً من الماء في إناء، ثم تَغُطّ القلادة التي تحتوي على المشاخص في ذلك الماء، وتُكرّر ذلك سبع مرّات وهي تردّد: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، ثم تستحمّ بهذا الماء، وتبقى تنتظر النتيجة، وإذا سَهَّل الله لها وحملت في تلك الأيام فيساورها شكّ بأن ذلك جاء نتيجة لاستعمال تلك الوصفة العجيبة وهو من فعل ذلك المشخص الغريب، وسرعان ما يطير الخبر وينتشر أمره بين النساء، ويصبح المشخص من الأشياء الثمينة ويكثر عليه الطلب من أجل ذلك، وسمعت أن امرأة تُؤجِّر مشخصها العجيب وقد ربطت بجانبه خرزة لا تقل عنه منفعة وفائدة لهذا الغرض.

الخِيريّة:

وجمعها خِيرِي، وهي قطعة ذهبيّة صغيرة وخفيفة. وكانت المرأة عندما تراقص طفلتها الصغيرة تغني لها قائلة:

بنت أبوها مدَلّلها..... والمشخص فوق الخِيرِيّة.

أي أن أباها لا يبخل عليها بهذه الأشياء الثمينة لفرط معزّتِها عنده وحبّه الشديد لها.

ولا يقتصر حُليّ الرأس على ما ذكرنا وحسب، بل هناك أنواع أخرى من العملات المعدنية المختلفة والتي لا تتوانى المرأة عن إضافتها إلى زينتها

ومنها الريـالات الفضـيّة والوزَرِيّـات والعشـرَاوِيّات، والبرايـز والقـروش وغيرها.

حلي الشَّعْر:

أما في الشَّعْر فكانت المرأة تمشط شعرها وتفْرِقُه مـن الوسـط حيـث تمـر خصلاته من فـوق الأذن، وتجدلـه مـن الخلـف في جـديلتين تتـدليان وراء ظهرهـا، وتضـع في نهايـة الجـديلتين أو القـرنين بعـض القطـع الفضـيّة الثقيلة، ويكون في كلّ قـرن أكثـر مـن قطعـة واحـدة وتـربط بـين القـرنين بسلسلة معدنية، ومن هذه القطع:

الجهيديات:

واحدتها جهيدِيّة، وهي نوع من العملة الفضيّة بحجم الفطيرة ولكنهـا أثقل منها تضعها المرأة في نهاية جدائلها وقرونها.

الريالات:

واحدها ريال وهي قطعة فضية ثقيلة تشبه الجهيدية في الحجم والوزن ولكنها تختلف عنها في الصورة والـنقش، وتُشـبك في نهايـة القـرون كمـا ذكرنا.

أما إذا لم تجد المرأة قطعاً فضيّة فغالباً ما تضع قطعاً معدنية مختلفة، ثقيلة الوزن حتى تبقى جدائلها وقرونها منسابةً وراء ظهرها، وتحافظ بذلك على جَدْلِها وتنسيقها.

مشابك الشعر:

أما في جانبي الرأس حيث تميل خصلات الشعر المتناسقة فتضع المرأة بعض المشابك المعدنيّة لتمسك تلك الخصلات وتحافظ على انسيابها، وتضع أيضاً مشابك ذهبيّة تُسمّيها بُكْلات أو بْكُول والواحدة منها بُكْلة ويبدو أن هذه الكلمة أخذت من الكلمة الإنجليزية "Buckle" التي تعني كما جاء في المورد: "حلية معدنيّة أو خرزيّة على شكل إبزيم"، وهناك عدة أنواع وأشكال من هذه المشابك منها المعدنيّة الصغيرة، ومنها الذهبيّة الغالية الثمن، وهي عبارة عن مشابك زُيِّنت بثلاث قطع من فئة ربع الليرة الذهبيّة، وهي تحمل نفس النقش الذي على الليرة الذهبيّة، وبعضها يكون بأربع قطع من نفس الفئة، وهناك نوع آخر يكون عليه أنصاف الليرة الذهبيّة وهو كالأول إلا أنه أثقل منه وزناً، والأرباع كل أربعة منها بزِنَة ليرة ذهبيّة واحدة من ذات الحصان "ليرة أم حصان"، والأنصاف كل نصفين بزنة ليرة ذهبيّة واحدة، فيكون على كل مشبك ثلاثة أو أربعة أرباع، أما الأنصاف فيكون على كل مشبك نصفان.

أما النساء المتقدّمات في العمر فكنّ يجدلن المسايح وواحدتها مسِيحة، وهي قرون صغيرة تُجدلُ من على جانبي الرأس وتمرّ من وراء الأذن وتتّصل بطرف القرن من الأعلى وتُجدل معه.

حلي الأذن:

هي ما يُعلَّق في الأذن من الأقراط والحلقات الذهبية، وكانوا يقولون: "بعيدة مهوى القُرط"، أي أنها امرأة ذات عنق طويلة، وطول العنق يعدّ من صفات الجمال عند المرأة، وفي العاميّة يقولون:

يا عنقها عنق الغزَيِّل ... اللي عن الوَكْر مَقْصُورة

أي أن عنقها يشبه عنق الغزال في طوله وملوسته في لحظة ذعرها ونفورها وما يصاحب ذلك من رفعها لعنقها تحسّباً لكلّ طاريء، ومقصورة أي ممنوعة.

الحُلْقَان، أو الحلَق:

هي الأقراط الذهبية التي تعلق في أذن المرأة، وهي ذات أشكال مختلفة ومتنوعة، ومنها ما هو بعيار ١٤ قيراطاً ومنها ما هو بعيار ١٨ أو ٢١ قيراطاً. وقد سمي الحلقان بهذا الاسم لأنه كان كما يبدو على شكل حلقة دائرية، أما حُلْقَان فهي حَلَقَان، لأنه عبارة عن حلقتين تُعلّقان في الأذن،

وإنما لفظه العامة بهذا الشكل وانتشرت الكلمة حتى أصبحت في مجتمعنا مألوفة مستساغة.

ومن الحَلَق ما هو على شكل عنقود عنب، ومنه ما هو على شكل دائرة مشنشلة بأجراس صغيرة، ومنه ما هو على شكل ورقة عنب أو نبات أو غيره، وهناك أشكال مختلفة ومتعدّدة منه يصعب حصرها. ويراعى في الحَلَق أن يكون خفيف الوزن حتى لا يشرم شحمة الأذن.

أما إذا كان الحَلَق غير ذهبيّ فإنه يسبب التهاباً لأذن المرأة وتقيُّحاً في ثقب الأذن التي يُعلّق فيها، وكثيراً ما تتعرّض بعض الفتيات الصغيرات لهذا الالتهاب والتقيّح بعد خَرْم الأذن ووضع حلقات صغيرة تشبه الدبابيس، فإذا سَمِيَ الثقب والتهب يعرف الأهل بأن الحلق مصنوع من الذهب الكذَّاب أي المزيّف فيخلعونه ويرمونه وربما يضعون مكانه خيطاً حتى يبقى الثقب مفتوحاً بعد أن يبرأ من الالتهاب.

أما في عصرنا فقد تطور الوضع فأصبحت بناتنا وربما البعض من نسائنا يضعن أربعة أقراط حيث يضعن في كل أذن قرطين أحدهما في مكانه الأصلي من شحمة الأذن، والآخر أعلى منه بقليل في الطرف الخارجي للأذن، فسبحان مغيّر الأحوال.

حلي الأنف:

الشناف:

وهو قرط من الذهب يُعلَّق في الأنف، حيث تُثقب فتحة الأنف اليمنى ويعلّق فيها هذا القرط فيتدلّى على قسمٍ من الفم مما يكسبه شيئاً من الجمال أو هكذا كان الاعتقاد السائد عند النساء في ذلك الوقت . وقد اختفى الشناف أو كاد منذ عدة عقود، وإن كانت هناك بعض العجائز ممن يصعب عليهن خلعه وما زلن يستعملنه حتى اليوم.

وكانت هناك عدة أنواع من الشناف منها ما هو على شكل هلال مُشَرْشَر، ومنها ما هو على شكل نصف دائرة مزخرف بنقوش وزخرفة متعدّدة كما هو مبيّن في الصورة المرفقة.

أما لماذا كانت النساء يستعملن الشناف ولا يستعملن حلقات الأذن، فاعتقد بأنه في الفترة التي لم يُسمح للمرأة فيها بكشف رأسها وشعرها فلم تكن هناك حاجة للحلق الذهبيّ، لأنه يكون مغطّى بالكامل، وبما أن المرأة تريد أن تكشف شيئاً من زينتها وهذا من طبيعة النساء فقد لجأت المرأة إلى وضع الشناف الذهبيّ في أنفها ليعطيها بريقاً ذهبياً خاصّاً وربما كانت تعتقد بأن ابتسامتها تكون جذابة أكثر إذا ما تلألأ بجانبها ذلك الهلال الذهبيّ الجميل.

حلي العنق:

ونقصد بها القلائد الذهبيّة أو الفضيّة التي تُطوّق العنق وتلتصق بـه، أو التي تتدلّى منه على الصدر، والتي تحتوي على قطع ذهبيّة ثمينة بعضها خفيف ورقيق وبعضها سميك وثقيل، ولها أنواع متعدّدة منها:

قلادة الليرات الذهبية:

وتتكون من قطع ذهبية نُظمت في حبل قماشيّ متين حتى لا ينقطع وتسقط منه. والليرة الذهبية تسمّى "الليرة أم حصان"، وهي قطعة ذهبية بريطانية الصنع، زنتها حوالي ٨ غرامات، وتصنع المرأة منها قلادة ذهبيّة تتكون من حوالي عشرين قطعة من هذه الليرات الذهبية، وقد رُسم على وجهٍ منها صورة الخضر وهو على حصانه يقتل التنّين، ومن صورة الحصان المذكور جاءتها التسمية بـ"الليرة أم حصان". أما الوجه الآخر فعليه صورة الملك جورج الخامس.

الفطِيرة:

قطعة ذهبيّة كبيرة توضع في أسفل قلادة الليرات الذهبية بزنة ٤ ليرات من أم حصان، وتعمل بعض النساء قلادة كاملة من "الفطاير" بالرغم من غلاء ثمنها إذا كانت ميسورة الحال.

المخَمَّسيِّة:

هي قطعة ذهبية كبيرة وثقيلة بزنة خمس قطع من الليرات أم حصان، ومن هنا جاءها الاسم، وهي من صنع الدولة العثمانيّة.

المَحْنَكَة:

هي نفس المخمسيّة المذكورة ولكنها اكتسبت هذا الاسم لأنّ المرأة تُدَلِّيها في خيطٍ مشدود تحت الحنك ومن هنا جاءتها التسمية.

الرشيديات:

واحدتها رشيدة، وهي تشبه المخمّسية في شكلها ونقشها إلا أنها بحجم وزنة الليرة أم حصان، أما اسم الرشيدة فقد جاءها من كلمة "رشاد" المنقوشة على أحد وجهيها، وتعمل منها المرأة قلادة تشبه قلادة الليرات أم حصان.

المجَرَّات:

الواحد منها مِجَرّ، وهي قطعة ذهبيّة صغيرة تعود صناعتها إلى دولة المجَر، ومن هنا جاءتها التسمية.

الشعيريّة:

وهي قلادة تُتّخذ من الفضّة أو الذهب تكون حبّاتُها على هيئة حَبّ الشعير.

الحِبّيّة:

وهي قلادة تشبه الشعيرية إلا أن حبّاتها تشبه عجمة الزيتون.

العُقد الهندي:

وهو عقد ذهب يتدلّى من سلسلة ذهبيّة، وبه شناشل على هيئة النجوم وفي أسفله ما يشبه التيجان، وأشكال أخرى.

حلي المعصم:

وهو ما يُطوّق المعصم من الأساور الفضيّة أو الذهبيّة، وكانت الأساور في البداية عبارة عن أساور فضيّة عريضة وثقيلة وكانت تسمى "دَقّة ضراير"، وكان بعضها الآخر مبروماً أو ملويّاً ومجدولاً، ثم تطوّر الحال وحلّت الأساور الذهبية مكانها بأشكالها المتعدّدة، ومنها الرفيع الرقيق والذي يشبه شريطاً رفيعاً يلتف حول المعصم، ومنها السميك المبروم، ويدخل في تصميمها بعض الزخارف والنقوش المختلفة ويكون في بعضها بعض الأحجار الكريمة الصغيرة المتنوعة ومن أنواعها:

الحية:

هي اسوارة ذهبيّة مبرومة وثقيلة تشبه الحيّة في شكلها ولها رأس في طرفها يشبه رأس الحية وبه عينان من الخرز الأحمر الصغير، وهي غالية الثمن لثقل وزنها.

الإنجاصة:

تشبه إسوارة الحيّة إلا أنها تختلف عنها في شكل الرأس حيث يشبه ثمرة الأجاص الصغيرة، وهي أيضاً غالية الثمن بسبب وزنها الثقيل.

إسوارة الرَّصْف:

وهي عبارة عن شريط رصفت عليه قطع ذهبية من فئة ربع الليرة أو نصفها، وهذه القطع تتشابك من أطرافها وتلتفّ حول المعصم ولها مشبك يوصل ما بين طرفيها.

إضافة إلى ما ذكرنا فقد كانت هناك أساور خزفية ملونة تسمى "غوايش"، وقد انتهت منذ سنين طويلة.

حلي الأصابع:

حلي الأصابع عبارة عن خواتم ذهبية متنوعة ومزخرفة ومرصّعة في بعض الأحيان بفصوص مختلفة، بعضها رفيع كـ "دبلة الخطوبة"، وبعضها ذو تاج مربّع به نقوش مختلفة يصعب حصرها نظراً لكثرة أشكالها واختلاف نقشها وهي تتغيّر من وقت لآخر كنوع من التجديد المستمر حتى يظل الإقبال عليها مستمراً وتُجَارِي العصر الذي تكون فيه.

حلي الوسط:

لم تستعمل في منطقتنا أحزمة ذهبية أو معدنية، وإن كانت موجـودة في بعض الأقطار العربية. وتوجد اليـوم بعـض الأحزمـة المعدنيـة الرخيصـة التي لا يؤبه لها وقد تستعمل دون أن يكون الهدف منها إظهار الزينـة أو ما شابه ذلك.

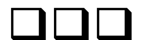
حلي القدم:

هي ما يسـمى بالخلاخيـل وواحـدها خلخـال، وهـي أطـواق معدنيـة أو فضـية تشـبه الأسـاور وتُطـوّق القـدم وتُصـدر رنينـاً أثنـاء السـير يجـذب الانتباه، ولم نشهدها في عصرنا وإنما كانت تسـتعمل في العقـود الأولى مـن القرن المنصرم ثم انتهت تماماً ولم يعد لها أي أثر في منطقتنا.

حلي الثياب:

يقتصر حلـي الثيـاب علـى بعـض القطـع المعدنيّـة الـتي تخيطهـا المـرأة وتلصقها على قُنْعَتِها كالقروش، والبرايز (قطعة من فئة العشرة قـروش، الواحد منها بريزة)، والعشراويّات الواحد منها عَشْرَاوِيَّة (وهي قطع مـن فئـة العشـرة قـروش)، والشـلوم (وهـي قطعـة مـن فئـة الخمسـة قـروش والواحد منها شِلِن ويجمع على شلنات، ولكنهم يلفظونه شِلِم ويجمعونـه

على شلُوم). وكذلك قطع العملة الفلسطينية القديمة مـن الملالـيم والقـروش المثقوبة من وسطها والتي كانت تُلصـق علـى ظهـر القنعـة بوضـع أزرار في ثقبها لتمنعها من السقوط.



أسوارة رصف


شناف
حلقان
فطيرة
مخمسية
ليرة أم حصان
أونصة

الفصل السادس

القلائد والخرز

بعد أن قطعنا شوطاً لا بأس به في شرح كسوة العروس وأدوات زينتها، بقي علينا أن نتطرّق إلى القلائد والخرز، وهي من الأشياء التي تتزيّن بها المرأة، وإن كانت قيمتها لا تضاهي قلائد الذهب والفضة.

والخَرَزُ في اللغة: فُصوص من حجارة، واحدتها خَرَزَةٌ. وقيل: الخَرَزُ فصوص من جَيّد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه. وهي تُنْظَم في خيطٍ أو سِلْكٍ وتصنع منها القلائد.

وقلائد الخرز تقسم إلى عدة أقسام: منها ما هو قصير يدور حول العنق ويطوّقه ويكاد يلتصق به، وقسم آخر أطول منه بقليل يصل إلى النحر، أو الجزء المكشوف من العنق، وقسم يتدلّى ليصل إلى نصف الصدر، وقسم أطول منه يصل إلى أسفل الصدر، ولهذه القلائد التي تستعمل للزينة أسماء مختلفة نذكر منها:

الدِّخْنِقَّة:

وهي القلادة القصيرة والصغيرة التي تُشَدّ حول العنق وتلتصق به ولا تتدلّى، وقد تتألّف من حبل واحد من الخرز أو من حبلين أو أكثر، وكلّ

حبل من حبال الخرز يسمّى "بَتّ"، تقول المرأة هذه قلادة من بَتَّين، أو من بَتٍّ واحد أو أكثر، وربّما جاء اسم «الدِّخْنِقَّة» من كونها تلتصق بالعنق وكأنها تكاد تخنق المرأة.

أما القلائد الأخرى التي ذكرناها فتحمل اسم قلادة مضافاً إليها اسم الخرز الذي تُصنع منه، فنقول قلادة مرجان أو قرنفل أو غيره، ومنها أنواع مختلفة نذكر منها:

قلادة المَرْجَان:

والمَرْجَان خرز أحمر فاتح اللون رفيع وأسطواني الشكل، وطول الخرزة منه ما يقارب السنتيمتر الواحد. وقد تضع المرأة خرزات مختلفة اللون بين كل حَبَّة مرجانٍ وأخرى، أو تضع خرزة كبيرة في أسفل القلادة في المكان الذي تتدلّى فيه، وتلفظ النساء كلمة المرجان بقولهن: مَرَجَان وليس مَرْجَان كما في الفصحى.

قلادة القَرَنْفُل:

هي قلادة مصنوعة من حبّات القرنفل اليابسة، وهذه الحبّات عبارة عن براعم يابسة لنبتة القرنفل ذات الرائحة النفّاذة، تنظمها المرأة في خيط طويل، وتفصل بينها ببعض الخرزات الصغيرة الملوّنة، وعندما تضعها في

عنقها تخرج رائحة القرنفل الزكيّة، فترتاح نفسية المرأة لهذه الرائحة التي تنبعث منها.

قلادة الدمدم:

الدِّمْدِم خرز صغير جداً متعدد الألوان تُصنع منه بعض القلائد، ويستخدم في تزيين فتحة عنق الثوب، أو في بعض الأشكال التي تُطرّز على القُنْعَة، وكذلك تُصنع منه بعض الحجب المثلثة ذات الشناشيل الملونة والتي تعلّقها المرأة على صدرها أو على صدر طفلها في بعض الأحيان.

قلادة الطَّرْف:

وهي قلادة تصنع من خرز الطَّرْف، وهو خرز أحمر يميل إلى اللون العنابيّ، ومنه نوع كرويّ الشكل، ونوع آخر يشبه الأول ولكن به بعض الزوايا وكأنه مثمّن الشكل.

قلادة الكَهْرَمَان:

والكهرمان خرز أسطواني الشكل ذو لون برتقالي، ومنه نوع كبير يسمى كهرمان صادق، أي أصلي، ونوع آخر أصغر حجماً ولونه أكثر شفافية، ويسمى كهرمان كذَّاب، أي مزيَّف وغير أصلي. وبعض النساء تلفظ الكلمة بشكل آخر فتقول: كَرْهَمَان.

قلادة اللؤلؤ:

وهو خرز أبيض كرويّ الشكل وبه بريق أخّاذ، والأصلي منه – إن وجد – أصله من أصداف البحر، ولكن الغالب الموجود منه زجاجيّ مزيّف، وتلفظ المرأة الكلمة فتقول: قلادة لُولِي.

وقد ورد ذكر اللؤلؤ في القرآن الكريم في الآية ٢٢ من سورة الرحمن؛ حيث تقول الآية: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، وكذلك في الآية ٢٣ من سورة الواقعة: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾.

قلادة العقيق:

وهو خرز أحمر طويل له زوايا، وبه خطوط بيضاء مختلفة، وتُصنع منه بعض القلائد، وقد يكون في القلادة الواحدة عدة أنواع من الخرز يكون من بينها العقيق.

ويسود لدى النساء اعتقاد بأن لبعض الخرز منافع وفوائد جَمّة، ومنه ما يجلب الحظّ والبخت والسعادة الزوجيّة، ومنه ما يجعل الزوج كالحمل الوديع لا يفكر إلا في امرأته ولا ينشغل باله في امرأةٍ سواها، ومنه ما يجلب العريس للفتاة العانس فتتزوّج بعد أن عزَفَ عنها الخاطبون، وهذه الخرزات أو هذه الحجارة الثمينة تضعها المرأة في قلائدها وتحافظ

عليها لندرتها ولأهميتها في نظرها، أو قد تُخبئها في مكان أمين عند أشيائها الثمينة، حتى تبقى قريبة منها وتنتفع بسرّها وبمفعولها العجيب والذي تتوارثه النساء وينقلنه من جيل إلى آخر، ومن هذه الخرزات:

خرزة السِّمْلِك:

وهي عبارة عن حجر أملس صغير ناصع البياض، وهو في نظر المرأة يحافظ عليها ولا يُمَكّن زوجها من الزواج من امرأة أخرى، وتعتقد المرأة أن التي تحمل خرزة السملك فإنّ زوجها "يَخْطب ولا يَمْلِك"، أي لا تتمّ خطوبته وينتهي أمر زواجه.

خرزة السَّلْوَى:

وهي عبارة عن حجر أبيض صغير مستدير الشكل أقل بياضاً من السِّمْلِك، والتي تحمله زوجها لا يسلوها، ولا يتزوّج عليها.

خرزة القُبْلَة:

وهي حجر أحمر غامق اللون على شكل الكبد، والتي تحمل القبلة يظلّ زوجها مقبلاً عليها ولا يلتفت لغيرها من النساء، أما الفتاة التي لم تتزوّج بعد، فإن العريس يُقبل عليها ويطلب يدها وتتزوّج بسرعة.

خرزة المَدْوَس:

حجر أخضر غامق اللون طويل بعض الشيء، والتي تحمله تدوس على قلب زوجها فلا ينظر إلى غيرها من النساء ويظلّ رهن إشارتها.

خرزة العِمْلاَقَة:

حجر بني اللون، تعتقد النساء أن من تحمله فإن زوجها لا يتزوّج عليها ولو خطب فإنه " يخطب ولا يُوَفّي سِياقه ". والسِّيَاق هو المَهْر، أي تُفسخ خطوبته قبل إنهائها.

وهنالك منافع أخرى للخرز لا تقلّ أهميّة عن تلك التي ذكرناها، ومنه أنواع تستعمل للوقاية من العين والحسد وطرد الشيطان، وبعضها يستعمل للمعالجة من بعض الأمراض التي تصيب المرأة ومنها:

خرزة النَّفْس:

وتجمع على "نُفُوس"، وهو خرز له عدة ألوان، منه الأبيض الذي به بعض الخطوط الرمادية، ومنه الذي يميل إلى اللون الأخضر الغامق، وهو شبه بيضوي، رفيع من الجانبين منتفخ من الوسط، وتعتقد المرأة أنه يبعد عنها النفس وهي عين السوء، والتي تصاب بالعين تسمى منفوسة.

خرزة العين:

وهي خرزة بيضاء في وسطها دائرة زرقاء تشبه بؤبؤ العين، وهي تقي من العين والنَّظْرة ومن عين الحسود، وأغلب استعمالها للأطفال حيث تُعلّق على كتف الطفل أو على صدره لتقيه من عين الحسود التي لا تصلّي على النبيّ.

خرزة العاقر:

وهي خرزة تحملها المرأة التي يتأخر حملها أو تتعوّق عن الحمل كما يقولون، ولم أشاهد هذه الخرزة ولكنني سمعت عنها كثيراً.

خرزة الكَبْسَة:

وهي خرزة خضراء اللون بعضها على شكل قلب وبعضها الآخر مثمّن الشكل، وتضع المرأة هذه الخرزة في قلادتها الذهبيّة، أو مع المشخص كما رأينا في الفصل السابق.

أما الكَبْسة؛ فإن المرأة النفساء تعتقد بأنه لو دخلت عليها امرأة حائض أو نفساء فإنها تصيبها بالكبسة، وعندها تظهر بعض البثور الحمراء الصغيرة على جلد الطفل وتنتشر على سائر بدنه، ولعلاج هذه الظاهرة تذهب مع ساعات الفجر وتأتي بأوراق مختلفة من الأشجار كأوراق التين والجمّيز والأثل، وبعض أوراق النباتات كالقُضَّاب والزَّقُّوح وغيرها،

وتغلي هذه الأوراق في ماء حتى ينحلّ لونها ويصبح الماء أصفر اللون، وعندها تُخرج قلادتها الذهبيّة وخرزة الكبسة التي بضمنها وتغطُّها في الماء عدّة مرّات مع قراءة الشهادتين سبع مرّات، وتُحمّم طفلها بذلك الماء فتزول عنه الشدّة وتختفي البثور.

أما في عصرنا فإن المرأة النفساء التي تلد في مستشفى الولادة فإنها تُحقن بحقنة خاصّة تحميها وتقيها من الكَبْسة ولا يهمّها حالة من تدخل عليها من النساء.

أما أوراق الأشجار والنباتات التي تجمعها المرأة فهي تسمى " نَشْرَة "، فتقول: ذهبت أجمع نَشْرَة من المكان الفلاني.

خرزة الديود:

هي حجر أبيض ذو رؤوس تشبه الأصابع، وبها ثقوب صغيرة تشبه ثقوب الاسفنجة، وهي كما يبدو عبارة عن كائن بحري من نوع المرجان الذي يتحول إلى مادة صلبة، وإذا ما أصاب المرأة مرض في أثدائها فإنها تعلّقها على صدرها وتخفيها تحت طيّات ثيابها لعدّة أيام حتى تتعافى من علّتها. أما كلمة ديد وجمعها ديود فهي تعني الثدي.

خرزة الحَصْر:

هي خرزة حمراء تعلّق على من أصيب بحصر البول مدّة من الوقت وبفضل قوتها العجيبة فإن الحصر يزول، ومنها نوع صغير ونوع أكبر بقليل، وقد يتعدّى العلاج بها بني البشر فنراها أحياناً تستعمل للمواشي إذا ما أصيبت أحداها بحصر البول، فإذا ما رأينا شاةً يلتفّ على حقويها خيط رفيع، فإن ذلك يدلّ على أن خرزة الحصر الحمراء تتدلى في أسفل الخيط، وقد تظلّ تلك الخرزة معلقة على الشاة حتى تشفى من مرضها وتعود إليها عافيتها.

وهناك نوع من الخرز يشبه السلحفاة وهو خزفيّ أو عظميّ تسمي النساء الواحدة منه "قُرْقَعَة"، وله مفعول وقيمة لا يستهان بها عند النساء، والقُرْقَعَة تعني السلحفاة في لغة العامّة.

وهناك نوع من الخرز يدخل في باب السحر، وتستعمله بعض من تتقن هذه الصنعة من النساء كمخدر للزوج المتعوس الحظ، حيث تقوم بنقعه في الماء ومَرْسِه وفَرْكِه حتى يخرج منه محلول أبيض يمتزج بالماء ويُسقى للزوج الغافل فيظل ساهماً لا يدري ما يدور حوله وتنفرد المرأة بالسلطة فتفعل ما تشاء.

وهناك عقود من الخرز تتفنن المـرأة في تصـميمها وتشـكيلها بمختلـف الأحجام والألوان وتزيّن بها جيدها ونحرها، لتظهر بذلك مقدرتها علـى ذلك الفنّ وبراعتها فيه.

❑❑❑



خرزة العين



قلادة قرنفل



خرزات طَرْف



خرزة ديود

الفصل السابع

أسبوع الفرح

بعد أن فرغ أهل العروسين من شراء وإعداد مستلزمات العرس، يقوم والد العريس ببناء بيتٍ لاستقبال الوافدين من الأصدقاء والمهنئين قبل موعد الزفاف بأسبوعٍ كامل.

وبناء بيت العرس ليس بتلك المهمة الصعبة، فعادة ما يكون خيمة مطويّة، سرعان ما يبسطها الرجال على الأرض، ويقومون بتثبيت حبالها ودقّ أوتادها، ومن ثم يقومون برفع أعمدتها وشدّ حبالها حتى تستقرّ، وهذه العملية لا تستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين، ومن ثم يقومون بتثبيت الجزء المتدلي منها أو ما يسمى بالرواق ويكون تثبيته بواسطة أسلاك تشبه المسامير يسمى الواحد منها "خلال"، ثم يتفقّدون وضع الحبال ويشدّونها جيداً، وبهذا يكون بيت العرس قد انتصب في مكانه ليعلن عن بدء أسبوعٍ كامل من أيام الفرح والسعادة.

وهناك بعض الأمور التي يجب أن تتوفر في هذا البيت ومنها:

يجب أن يكون كبيراً وواسعاً بما فيه الكفاية حتى يتّسع لأكبر عدد ممكن من الناس، وبما أنه ليس هناك بيت كبير بهذا الحجم فإنهم يستعملون عدة بيوت لهذا الغرض يوصلونها ببعضها البعض حتى تصبح بيتاً واحداً كبيراً، يعطي انطباعاً لمن يراه بأن العرس سيكون مليئاً ومكتظاً بالضيوف والمهنئين.

كذلك يجب أن تكون الأرض التي يُبنى عليها البيت مستوية حتى يكون الجلوس مريحاً للناس، إما إذا كانت مائلة فإن ذلك يسبّب لهم تعباً وإرهاقاً وآلاماً في الظهر نظراً لطول الجلسة والتي قد تستغرق عدّة ساعات على أقل تقدير.

ويجب أن يكون نظيفاً من القشّ وبقايا الأعشاب الجافّة لأن الأعراس عادة ما تكون في فصل الصيف، وهذا لا يعني أن لا تكون في مواسم أخرى ولكن الكثير السائد منها هو في فصل الصيف.

رشّ أرضية البيت بالماء حتى تمنع تطاير الغبار على الناس، وكذلك رشّ مساحة صغيرة أمامه وخلفه، يتكرّر ذلك عدّة مرّات حتى تصبح الأرض صلبة لا غبار عليها، لأنه في فصل الصيف تكثر الزوابع في بلادنا بما يرافقها من غبار وقشّ ناعم متطاير.

بعد ذلك تبدأ مرحلة تجهيز البيت بالفرش والوسائد حيث يقوم عدد من إخوان العريس وأقاربه بجمع الكثير من البسط المختلفة والوسائد من بيوتهم ووضعها وترتيبها في الطرف الشمالي من البيت بحيث يسهل تناولها عندما يتوافد الضيوف ويزداد عدهم، أما في الجهة الجنوبية فيكون موقد النار حيث تُعَدّ القهوة العربية السادة، ولم يكن الشاي معروفاً من قبل، ولكنه أصبح فيما بعد يُقَدَّم كالقهوة أو ربما أكثر منها، ويقوم بمهمة مدّ القهوة والشاي بعض من فتيان العائلة وشُبّانها، يتطوعون لهذه الخدمة عن طيب خاطر، بعضهم يُعدّ القهوة والشاي، وآخر يقدّمها للناس وآخر يلمّ الفناجين، وهم يراقبون كلّ قادم فما يكاد يجلس حتى يقف أمامه أحدهم ويقدم له فنجاناً من القهوة أو الشاي.

أما والد العريس فإنه يظلّ مشغولاً طيلة أيام الأسبوع يستقبل الناس على أنواعهم، ويوزّع عليهم القُطَّيْن والزَّبيب والملبَّس والكَعْكَبَان، ويقدّم لهم وجبة خفيفة في وقت الغداء وأخرى في وقت العشاء، وإذا أراد الخروج لقضاء مصلحة ما فإنه يترك أحد أفراد العائلة مكانه.

ولا تنسَ والدة العريس أن ترفع على البيت راية بيضاء تظلّ ترفرف عليه طيلة أيام العرس، وربما تقول: "هذه راية بيضاء لربّ العالمين اللي

خلاني أشوف فلان وهو عريس"، وهي تشكر الله سبحانه أن أمدّ في عمرها وأحياها لترى ابنها وقد بلغ مبلغ الرجال وأصبح عريساً.

وهي تنشغل كذلك في استقبال من يأتينها من النساء، وتشاركهن في الغناء والزغاريد والرقص، وتعتبر كلّ مَنْ تأتيها لتغنّي معها في عرس ابنها قد قدّمت لها معروفاً، وعليها أن تعيده لها عندما تكون عندها مناسبة مماثلة.

أما الناس فيتوافدون على بيت الفرح طيلة ساعات النهار، كلّ حسب وقت فراغه، ولكن البيت يمتلئ عادة في ساعات المساء حيث تكون "التعليلة" أي السهرة والسّمَر من خلال الأحاديث والحكايات، أو لعب السِّيجة والطَّاب وغيرهما، وتتخلّل أسبوع العرس فعاليات واحتفالات مختلفة نذكر منها:

سباق الخيل أو الإبل:

كان السباق في البداية على الهجن ؛ وهي الجمال الضامرة الهزيلة التي تصلح للسباق، حيث كانت الإبل منتشرة بشكل كبير، وكانت هي وسائط الركوب والنقل المعروفة، وكان ركوبها شيئاً مألوفاً، فكان يتسابق عليها الرجال في ساحة مستوية أمام بيت العرس أو ورائه.

ثم أصبح السباق على الخيل الأصيلة، وكان المتسابقون عندما يَمرّون بالقرب من بيت النساء تنطلق الزغاريد مُدويّة مُلعلعة فيزداد الحماس ويهمز كلّ فارس جواده ليثب به وينهب الأرض برجليه ليستحق عن جدارة زغرودة عالية مجلجلة. وهناك من يتفنّن فيميل من على ظهر جواده ليلتقط حصاة من على الأرض ثم يستقيم ويشدّ اللجام فيقف به الحصان على رجليه الخلفيتين لعدّة ثوانٍ ويصهل صهيلاً وكأنه الأبجر في عهد عنترة العبسي، ثم يعاود الطراد والكرّ والفرّ ليري الناس فنون الركب والفروسية، فيتعجّبون من مقدرته ومهارته. وقد شاهدت بعض هذه المهارات عندما كنت صغيراً.

حلقات الشباب:

أما الشباب فغالباً ما يجتمعون في الأماسي ويتحلّقون حول واحد منهم يُجيد النفخ على الشبابة، وألحان الشبابة فيها شيء من البُحَّة نظراً لارتطام صوت النفخ بين جدرانها الداخلية، ولكن العارف بفنونها يستطيع أن يغيّر عليها ألحاناً مختلفة ويجعلها تستجيب لرغبات الشباب المتحمس فيصدح بها تارة بألحان "الدلعونا" وتارة بلحن "ع الهوى ع الهوى"، وأخرى بلحن "يا بو رديِّن يا بو ردانا" وغيرها كثير.

وقد يخرج اثنان من الشباب يرقصان في وسط المجموعة وفي يد كل واحد منهما عصا خيزران، أو عكازاً يلوِّح بها ويتفنّن في تحريكها، فمرة يلفّ بها كالمروحة وتارة يضرب بها على عصا زميله بينما يصفّق الباقون في حماس وإثارة، وقد ينبري بعضهم ليغني بصوته أبياتاً من الدلعونا فيقول:

على حرف الألف لأتمّ آألِّفْ　　وخسارة البيضا من النذل تْخَلِّف
على دلعونا وليش دَلَّعْتِينِي　　وَلَمَّنِي صغَيِّر ليش أخذتيني

* * *

على دلعونا من هان ورايح　　واطْراف الحَطَّة بتُنْقُط روايح
والله لآخذكِ واتْمِنِي رايح　　ع بلاد اليمن ما بيعرفونا

وهكذا تنطلق ألحان الشبّابة بنغمة دلعونا، بينما يصفق الشباب بين كل نغمة وأخرى.

البَدْع:

أما الرجال الأكبر سناً فكانوا يتحلَّقون أيضاً في ساعات المساء أمام بيت الفرح في حفلات من السّمَر، ويخرج أحدهم ممن يجيد قول الشعر الارتجالي المبني على الجُمَل القصيرة والسَّجْع، والذي يُسمَّى "البَدْع"، ويسمى الشاعر الذي يتقن هذا اللون من الشعر "البَدَّاع"، ويبدأ في إلقاء

مقطوعاته، وقد يردّ عليه بدّاع آخر، وعادة ما يبدأ الاحتفال بطريقة ودية، أما إذا أقذع أحد البدّاعين فغالباً ما يكيل له البَدَّاع الآخر الصاع صاعين، وربما تحوّل هذا الحماس في نهاية المطاف إلى مشاجرة خفيفة تنفضّ من جرائها حفلة تلك الليلة. وهذه بعض أبيات من البدع كنموذج لهذا اللون من الشعر:

ربعي يا عصابة راسي	حالي بلاكم زرية
ربوعي كلهم نشامى	ما فيهم حوفة رديّة
خُذْ لك كلامْ حلو وتمام	والعاطِل رُدّه عَلَيَّهْ
ارتاح وريِّحْ جوادك	دِرّ المثاقل عَلَيَّهْ

الدحّيَّة:

الدحيّة هي حفلة من الرقص يشترك فيها عدد من الرجال قد يصل عددهم عشرة أو حتى عشرين يصطفّون بجانب بعضهم البعض ويبدأون بالرقص، ثم تخرج امرأة مقنّعة لا يظهر من ملامحها أي شيء وفي يدها سيف وتأخذ ترقص بينهم وتسمى هذه الراقصة بـ"الحاشي"، وعندما تبدأ في الرقص بينهم يدبّ الحماس في الرجال ويحاولون الاقتراب منها وتضييق الحلقة عليها وهم يتشابكون الأيدي فتردّهم بالسيف الذي في يدها، فيخبطون بأرجلهم ويصفّقون بأيديهم ويردّدون لازمة مكرّرة

يقولون فيها: "حِي حِي يُوه، حِي حِي يُـوه"، وهـم يـردّدون هـذه الجملـة بحماس تامّ بينما تكون أعينهم تتّجه صوب المرأة التي ترقص بينهم.

وقد أبطلت بعض العائلات حفلات السامر والدحيّة بشـكل تـامّ منـذ زمـن بعيد. وعائلتنا على سبيل المثال ألغت هذه العائلة منذ عـام ١٩٤٠، حتـى أن شبابنا اليوم لا يعرف عن الدحيّـة شـيئاً ولا عـن السـامر اللـهم إلا مـا سمعوه من أفواه الكبار.

أغاني النساء:

أما في بيت النساء فإن أسبوع الفرح يكـون أسـبوعاً مـن الغنـاء والـرقص والزغاريد والضرب على الطبل، ويكون أكثـر الغنـاء في العـريس ووالـده، وتردّد المغنيات اسم العريس في أغانيهن، أما والده فيـذكرن كنيتـه، فـإذا كان اسم ابنه الأكبر محمد فإنهن يقلن: يا بـو محمـد، أمـا إذا كـان ابنــه الأكبر اسمه سالم فيقلن: يا بو سالم وهكذا..

ولـيس هـذا وحسـب فـإن كـل امـرأة تـذكر زوجهـا في غنائهـا وتـردّد المجموعة التي تُغنّي معها ما تقول، فزوجتي مثلاً تقول يا بو جمال، أما أختي فكانت تقول: "والزعيم أبو نعيم مَـلاّ الإبريـق.. لا أدري بمـاذا مـلأ أبو نعيم إبريقه ولكن هذا ما سمعته..

وإذا لم تذكر النساء اسم أحد الأزواج فإن زوجته تأخذ على خاطرها، ولكن والدة العريس تتدارك الأمر، وتُسمع تلك المرأة ما يرضيها فتعود وقد عاد إليها اعتبارها.

أما والد العريس فعندما يسمع بأنه زعيم، وأنه يفعل العجائب فعادة ما ينتفش ريشه، ويشعر بشيء من الزهو يجعله يشد أطراف عباءته على كتفيه وترتسم على شفتيه علاماتٌ من الرضى والقبول.

ونوع الغناء النسويّ في الأفراح يأخذ طابع الإيقاع السريع، ليتماشى ويتناغم مع إيقاع الطبل، وتشتري أم العريس عدة طبول لهذا الغرض.

وهناك نوع من الغناء يسمى تقِطِّر، حيث تجتمع عدّة نساء ويتقابلن في شبه دائرة ويغنين بلحن ممطوط لا إيقاع فيه فيقلن يا بو محمد بالطريقة التالية: ياااااا بووووو محاااااامد، وهكذا.

وقد انقرض هذا اللون من الغناء أو كاد، ولم يبق مَنْ يعرف عنه سوى بعض النسوة المخضرمات والمتقدمات في السنّ، أما الجيل الجديد فيكاد يجهل هذا اللون من الغناء ولا يعرف عنه شيئاً، كذلك فإنه لم يعد له مكان في أغاني العرس التي يرافقها الطبل وتصفيق الأيدي.

وتجدر الإشارة إلى أن مشاركة النساء في الوقوف مع أم العريس والغناء معها في عرس ابنها يعتبر ديناً عليها، وعليها أن تشارك لتسديد ذلك في مناسبات مماثلة عند كل واحدة ممن شاركنها فرحتها.

الحناء:

في مساء اليوم الذي يسبق يوم "الأَخْذ" أو الزفاف، يكون حناء العروس أو يوم الحناء، حيث تأتي نسوة من أهل العريس لبيت أهل العروس ومعهن أكياس من الحناء من فئة الكيلو غرام، فتعجن النسوة هذا الحناء وتتركه ساعة من الزمان ليختمر، ثم تضع منه على كفيّ العروس وعلى قدميها، وقد يكتبن اسم العريس على كفّ العروس أو يرسمن أشكالاً مختلفة كالقلب الذي يدلّ على المحبة أو غيره من الأشكال، وتضع منه بقية النساء والفتيات على كفوف أيديهن وأصابعهن، ويُوزّع ما تبقّى من الحنّاء المعجون على النساء حيث تأخذ كل امرأة شيئاً منه لمن تخلّف في البيت من بناتها، فتعمّ الفرحة بذلك كل أفراد الأسرة والأقارب.

البِرْزة:

قبل موعد الزفاف بيوم أو يومين يبني أهل العريس خيمة صغيرة تكون بمثابة بيت للعريس، وهذه الخيمة تسمى "بِرْزة العِرْسَان"، وهي لا تكاد تتسع لمنام العروسين ولأغراضهم وأمتعتهم القليلة، ولا يكون في البرزة

مكان لإعداد الطعام لأن العريس يأتي بالطعام من بيت أهله، وعادة ما يكره الأهل أن "يطلع" العريس عن أهله، أي أن يستقلّ عنهم في مأكله ومشربه ومصروفاته، وقد يُنظر للعروس الجديدة بعين الكراهية والاحتقار إذا ما ضغطت على زوجها ليستقلّ عن أهله على الأقل في السنوات الأولى من زواجه.

أما محتويات البرزة من الأمتعة والأثاث فهي أشياء قليلة، ولكنها تحمل في طياتها نواة لعائلة جديدة تشقّ طريقها في الحياة لتبني أسرةً من أُسَرِ المستقبل، ومن هذه المحتويات:

العِرْزَان:

وهو عبارة عن طاولة مستطيلة يصل طولها إلى مترين، أما ارتفاعها فيكون حوالي المتر الواحد، وتصفّف عليها الأغطية والفرش والوسائد. وربما استعمل البعض "سَدَّة" من الخشب، وهي تشبه العرزان ولكن لها أبواب وجوارير، ويمكن استعمالها كخزانة لحفظ الملابس والأمتعة. وأصل الكلمة عِرْزَال، ولكنهم يلفظونها بالنون، جاء في لسان العرب: "والعِرْزَال: هو مِثْل الجُوَالِق يُجْمع فيه المتاع. وعِرْزالُ الصائد: خِرَقُه وأَهْدامُه يَمْتَهِدُها ويَضْطَجِع عليها في القُتْرة"[53].

---

(٥٣) – لسان العرب: مادة "عرزل".

الغَفْرَة:

تشبه البساط وتُنسج مثله، ولكنها تكون بعرض اللحاف، وتستعمل مكان الفَرْشَة المحشوة بالصوف، وهي خشنة الملمس، وليست مريحة للنوم ولكنهم يفرشون تحتها طبقة من القشّ الناعم تجعلها أكثر راحة وأكثر دفئاً وحرارة.

الوسادة:

إضافة للوسائد المعروفة والمحشوة بالصوف فهناك وسادة طويلة تنسج كالبساط الملوّن، وتُحشى بالقَصَل وهو عيدان القش الخشنة بعد درسها، وهذه الوسادة تكون مهدّبة من الحواشي، وثقيلة بسبب القشّ المضغوط فيها. وهناك أغراض وأمتعة أخرى لا يخلو منها أي بيت مهما كان صغيراً.

يوم الزفاف:

تتهيأ العروس في هذا اليوم بلباسها الجديد ومصوغاتها البراقة، وتنتظر مع أهلها قدوم أهل العريس لنقلها إلى بيتها الجديد، وتنظّف الأم وقريباتها البيت والمساحة التي حوله لاستقبال الضيوف، أما والد العريس فينشغل في أمر آخر حيث يقوم بإعداد طعام مستعجل لضيوفه من أهل العريس ومن يرافقهم من الوجهاء والأقارب، فيذبح في الصباح

خروفين أو ثلاثة ويأمر بالإسراع في طبخهم، وما أن يأتي أهل العريس إلا ويكون الطعام جاهزاً.

يكبر والد العروس في نظر القوم وترتفع منزلته بعد احترامه لهم ويشكرونه على صنيعه، ويطلبون منه أن يُخرج لهم العروس لأن مشاغلهم كثيرة في هذا اليوم.

تكون العروس محاطة بالنساء والفتيات، ويَحفّها الغناء والطبل والزغاريد، فينادي والد العروس على زوجته لتخبر بقدومه، فتغطّي من تريد من النساء وجهها، أما بعضهن فلا تكترث لذلك وتعتبره يوماً يجوز فيه ما لا يجوز في غيره، وتضع أم العريس عباءة على رأس العروس حتى لا يراها أحد فيمسكها والدها من يدها ويُخرجها إلى المكان الذي تُحمل فيه بينما تسبقها امرأة أخرى تمسك إبريقاً مليئاً بالماء والسكّر وترشّ على طريقها، حتى تكون طريقها حلوة وحياتها كلها خير وسعادة. فتركب في الهودج وتسدل عليها جوانبه وتسير القافلة على بركة الله إلى بيتها الجديد. أما متاعها فيحمل على جمل آخر.

والهودج؛ محمل له قبّة يوضع على ظهر الجمل، وله ستائر من القماش والبسط الملوّنة، وقد يقف في طريق موكب العروس بعض الناس إذا كان

بيته قريباً من الطريق ويدعوهم لتناول الغداء عنده، ولكنهم يعتـذرون في أغلب الأحيان، ويردّون طلبه ردّاً جميلاً.

وعندما تصل القافلة أو الموكب تنزل العروس في بيت أهل العريس لأنـه أكبر وأوسع فيُحتفى بها بالغنـاء والزغاريـد والطبـل وغـيره حتـى المساء حيث تُنقل للبرزة وهي لا تبعد عادة إلا عشرات الأمتار عن بيت الأهل.

أما الرجال فينشغلون منذ ساعات الظهيرة بذبح الذبائح وإعداد الطعـام ويشترك في ذلك العشرات مـنهم، حيـث يقـوم بعضـهم بالـذبح والسَّلْخ، وبعضـهم الآخـر يقطِّـع اللحـم ويغسـله وينظّفـه، والـبعض يحفـر خنـدقاً مستطيلاً لإشعال النار وتركيب القدور والـبعض يضـع الملـح ويـذوق المـرق وهكذا حتى ينضج الطعام.

يفد الناس في ذلك اليوم ويزداد عددهم بعد العصر وكل واحد فيهم يأتي بنقوط يسمى "قَوَد"؛ وهو عبارة عن خروف سمين أو ما يعـادل ثمنـه مـن النقود، وهذا الاسم جاءه من الخروف أو الشاة التي تُقاد حتى بيـت أهـل العريس، وقد أدركت هذه الفترة حيث رافقت أبي وهو يقود عنزاً سمينـة ويأخذها لعرسٍ عند أحد أقاربه.

يسجّل والد العريس كلّ قَوَدٍ يأتيـه حتـى لا ينسـى أن يعيـده لأصـحابه عندما تكون لديهم مناسبات مماثلة، ويسجّل كذلك ملاحظة عند كلّ قَوَد،

فيكتب: " قاد فلان الفلاني خروفاً سميناً يساوي ١٥٠ ديناراً، وقاد فلان خروفاً هزيلاً يساوي ٨٠ ديناراً، وهكذا..

أما النقود فيكتب المبلغ الذي دفعه كل واحد منهم، ويكتب في ملاحظاته أيضاً ثمن الخروف في تلك الفترة ليعرف إذا كان المبلغ يكفي لشراء خروف جيّد أم هزيل..

ويسجّل كذلك سعر صرف العملات في ذلك اليوم فيكتب على سبيل المثال: الدينار يساوي ٦,٣ شيكل، ويساوي الدولار ٤,٥ شيكل وهكذا..

أما عدد المشاركين فيكون عادة بمقدار اجتماعيات والد العريس، فإذا كان يشارك الناس في مثل هذه المناسبات، ويقدّم النقوط فإن عدد الناس يكون كبيراً، وكلما كان اشتراكه أكثر كلما ازداد عدد الناس الوافدين إليه، لأن القَوَد أو النقوط هو دَيْن كما ذكرنا ويجب تسديده في مثل هذه المناسبة، وكثيراً ما يقولون: "اللي بيقَدِّم شي بيلقاه(٥٤)"، وكذلك: "كل شي قُرْضة ودين حتى المشي على الرجلين(٥٥)".

(٥٤) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٥٥) – من الأمثال البدوية، ص ١٧١ .

ويسمى هذا اليوم أيضاً "يوم القِرَى، حيث كانوا يعملون غداء في ظهيرة اليوم التالي للزفاف، ثم اكتفى الناس بعمل عشاء ينتهي بانتهائه العرس.

وبانتهاء العشاء تنتهي مراسم العرس، وبعد العشاء مباشرة هناك من يقول على سبيل المزاح: "كُلوا وانتشروا"، فيتفرّق الناس ويعود كل منهم إلى بيته ليعاودوا الكَرَّة في عرس جديد آخر.





الفصل الثامن

في بيت الزوجية

تدخل الفتاة الشابّة بيت الزوجية صغيرةً يافعة، لم تعرك الحياة، ولم تسبر أغوارها، ولا تعرف عنها إلا وجهها المشرق، ككلّ فتاةٍ في مقتبل العُمر، وما إن يمضي وقتٌ قصير حتى تندمج في حياتها الجديدة وتتأقلم مع أسرة زوجها، وتواجه الحياة بوجهها الحقيقيّ فتتعلّم الكثير من خلال تجاربها الخاصّة، ومما يدور حولها من أحداث وأمور، وتصبح بذلك أكثر دراية ونضجاً، وتتحوّل بمرور الزمن إلى امرأة بالغة بكلّ مواصفات المرأة الأنثى ومزاياها.

وهي كزوجة شابّة لا بدّ أن تنشغل في بداية الأمر بشكلها ومظهرها لتبدو جميلةً أمام زوجها وأهل زوجها، فترتدي مما لديها من ثياب جديدة جلبتها معها وطرّزتها وأكثرت من ألوانها وأعدّتها لترتديها في هذه الفترة والتي يجوز لها كعروس شابّة أن تلبس فيها ما يحلو لها من ثياب.

وبما أننا تحدثنا كثيراً عن أدوات التجميل وأنواع الزينة والحليّ فنكتفي هنا بذكر الكُحل وأدواته وكيفية صناعته وذلك لاعتقادنا بأن الكثير من أبنائنا وبناتنا في هذا الجيل لا يعرفون عن صناعته شيئاً.

الكُحْل:

هناك نوعان من الكحل، نوع جاهزٌ يُشترى من العطّارين وهو يصنع من حجر أسود برّاق يسمّى الإثمد، ونوع محليّ يصنع في المنزل وهو الأكثر انتشاراً لسهولة صنعه وتحضيره.

وعندما تشتري المرأة ذلك الحجر الأسود تدقّه دقّاً ناعماً في جُرنٍ معدني أو نحاسيّ، ثم تضعه على شال ناعم وتنخله فيخرج من فتحات الشال الصغيرة مسحوق ناعم جداً، ثم تعيد الكرَّةَ عدة مرّات حتى تملأ مكحلتها منه لتستعمله عند الحاجة، وهذا النوع أفضل من النوع الذي يصنع من سخام زيت الزيتون.

كيفية صناعة كحل زيت الزيتون:

تأخذ المرأة علبة صغيرة وتضع فيها شيئاً من زيت الزيتون الصافي، ثم تأخذ شريحة صغيرة من قماش قطني وتلفّها وتجعل منها فتيلاً تضع أسفله في الإناء الذي يحتوي على الزيت وتخرج أعلاه لتشعل فيه النار بعد أن يصل الزيت إليه، فيخرج منه لهب صغير خافت ويتصاعد منه

دخان أسود شديد السواد، ثم تأخذ مقلى أو " قلاَّيـة القهـوة "، وتمسحه وتنظفه وتمسكه بيدها من مقبضه وتقلبه فوق الفتيل حيث يكـون مرتفعـاً عنه عدّة سنتيمترات، فيتطـاير الـدخان ليلتصـق بجـوف المقلـى ويتجمّع عليه، وبعد عدّة دقائق تقلب المرأة المقلى وتأخذ قطعة صغيرة مـن القمـاش كانت قد لفّتها لتستعملها كفرشاة لتلمَّ بها ذلك السُّخام الأسود، وتجمعـه على طرف المقلى ثم تنقله إلى مكحلتهـا أو إلى زجاجـة صـغيرة تكـون قـد أعدتها لذلك، ثـم تقـوم بتكـرار العمليـة عـدة مـرات حتـى تحصـل علـى كفايتها منه، وأحياناً تضع المرأة الإنـاء الـذي فيـه الزيـت تحـت منصـب حديديّ صغير وتقلب المقلى عليه فيريحهـا ذلـك مـن مسـك المقلـى بيـدها لفترة طويلة.

المكحلة:

هي وعاء معدنيّ صغير يوضع فيه الكحل بعد صناعته في المنزل، ولـه في غطائه رأس يشبه القلم يُغَطّ في الكحل وتكحل المرأة به شفار عينيها.

الخروج إلى بيت أهل العريس:

بعد ثلاثة أيام تخرج العروس ومعها زوجهـا إلى بيـت أهـل العـريس، وهو عادة لا يبعد عن "برْزَتِهم" إلا أمتار قليلـة، ويكـون شـعور العـريس الشابّ في تلك اللحظة كمن جاء بشيء ثمـين ليعرضـه علـى أهلـه، وكأنـه

يريد أن يقول لوالديه حقاً لقد كان اختياركم مناسباً، وربما يرى كلّ عريس في عروسه آيات من الجمال لا يراها غيره ولذلك ينتابه شعور بالفخر وهو يسير بجانبها إلى بيت أهله.

تكون الفرحة في البيت كبيرة لاستقبال الضيفة الجديدة، وتكون فرحة الصغار من إخوان العريس أكبر، وهم يرون فرداً جديداً يضاف إلى أُسرتهم، وكثيراً ما يُمسكون العروس من يدها، ويتحسّسون بأيديهم الصغيرة ثوبها الناعم ويشمّون فيها رائحة العطر والقرنفل، فتفرح العروس بهم وتلاطفهم وتَمسح على رؤوسهم، وتتعرّف على أفراد العائلة وعلى عمّها وعمّتها وتصبح فرداً حقيقياً من أفراد الأسرة، وكثيراً ما يذبح والد العريس خروفاً في هذا اليوم كنوعٍ من الاحترام لهذه الوافدة الجديدة، أما إذا لم تكن لديه مواشٍ فإن والدة العريس تتكفّل بالغداء فتذبح بعضاً من ديوكها وتساعدها العروس في إعداد الطعام وطبخه.

تتكرّر الزيارات بعد ذلك وتصبح العروس تذهب لبيت الأهل لإحضار ما تحتاجه مع زوجها من طعام وشراب وغيره، ثم تشارك بعد ذلك في أعمال البيت المختلفة، وكثيراً ما تُظهر براعتها في إعداد الطعام وفي سرعة العجن والطهي، وربما تضيف ألواناً جديدة من الطعام لم تكن مألوفة لدى العائلة، وتترك بصماتها على كثير من الأشياء فيصبح لها

دورها الرئيسي ويحبها الجميع على لطفها وبشاشتها وطيب أصلها ورجاحة عقلها.

الاندماج في العائلة:

تحرص العروس أن تكون جزءً من العائلة وذلك بنشاطها وعملها ومشاركتها في كلّ صغيرة وكبيرة من أعمال البيت ومن شؤون المنزل، فتقوم بمهمّة إعداد الطعام كما ذكرنا، وتقوم بغسل الملابس، وشطف الأواني، وتنظيف البيت وترتيب الأشياء التي فيه، وتظلّ كذلك حتى تصبح موضع ثقة الزوج وأهله، وإذا هداها الله وكانت تحنّ على والديّ زوجها وتأتيهم بالطعام والشراب وتبشّ في وجوههم وتناولهم ما يريدونه فإنها تكسب دعاءهم الصادق لها أن يعوّض الله عليها بالنسل الصالح، أما إذا انتهجت طريقاً أخرى فإنها تعامل بمثل صنيعها.

ولا تقتصر مشاركة المرأة على هذه الأشياء وحسب بل هي تقوم بجلب الماء من البئر، وتجمع الحطب وتلم القش لإشعال النار من أجل الطهي وإعداد الطعام. كذلك فهي تشارك في حلب المواشي وخضّ اللبن وإخراج الزبدة وعمل السمن، إضافة إلى مشاركتها في غزل الصوف ونسجه وكثير من الأعمال الأخرى التي يصعب حصرها.

زيارة الأهل:

بعد أسبوع من الزواج يذهب العريس مع عروسه لزيارة أهلها وكثيراً ما يصطحب والده معه، ويأخذ معه الكثير من الهدايا من فواكه وحلويات وما شابه، وينتظر أهل العروس قدوم ابنتهم بفارغ الصبر، ويكون الاستقبال حارّاً، والحفاوة كبيرة بابنتهم وزوجها خاصة بعد أن أصبحوا عائلة واحدة بالمصاهرة والنسب، وعادة ما يذبح والد العروس خروفاً في هذه المناسبة احتفاءً بالعريس ووالده، وللطعام قيمته المعنوية التي تدلّ على احترام الضيف والقيام بواجب الضيافة أكثر من القيمة الغذائية والتي لا يُنظر لها في مثل هذه المناسبة.

وبعد الغداء هناك من يترك العروس عند أهلها حتى ساعات المساء لإفساح المجال أمامها للتحدّث مع أهلها عن زواجها وعن عائلتها الجديدة التي كثيراً ما تُثْنِي عليها وتمدح لطفهم ومعاملتهم لها، ثم تعود إلى بيتها، وتتكرّر الزيارات بعد ذلك وتكون قريبة في بداية الأمر ثم تبعد شيئاً فشيئاً لتكون الفترة أطول بين كلّ زيارة وأخرى تتخلّلها زيارات من أهل العروس بين الحين والآخر.

يجوز بعد الزواج ما لا يجوز قبله:

بعد أن تتزوّج المرأة تُفتح أمامها أبواب مختلفة لم يكن يسمح لها باجتيازها من قبل؛ فعلى سبيل المثال:

يجوز لها الآن أن تلبس ثياباً كثيفة التطريز مطرزة باللون الأحمر والألوان الجذّابة الأخرى، وكذلك يجوز لها التمنطق بالحزام التلحميّ الأحمر واستعمال الروائح العطريّة ومساحيق التجميل، وكانت هذه الأشياء محظورة عليها قبل الزواج.

يجوز لها الآن الخروج مع عمتها (حماتها) للمشاركة في المناسبات المختلفة كزيارة امرأة نفساء، أو عيادة مريضة أو المشاركة في الأعراس والمآتم.

ولكن لا يجوز لها الزيارات لمجرد الحديث وقتل الفراغ إلا في الضرورة القصوى، وتُعدّ المرأة التي تقوم بذلك امرأة لا يُمسكها بيتُها، والأجدر بها أن تلزم بيتها وتتفرّغ لشؤونها المنزلية ورعاية زوجها وأسرتها.

وهناك مثل يصوّر المرأة التي لا يمسكها بيتها يقول: "قَوَّك يا بيتي وأنا متعَدِّي، لاني متعشّي فيك ولا متغَدِّي[٥٦]"، قوّك: كلمة تحية تعني مرحبا. متعدي، أي يتعدّى الشيء ويجتازه.

---

(٥٦) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

شخصية الرجل بعد الزواج:

تتبلور شخصية الرجل عادة بعد الزواج فمنهم من تبرز شخصيته ويرسخ عقله ويهدأ فكره، ويصبح أكثر هدوءً وعقلانية، والذي يستطيع أن يفرض شخصيته ويكون هو صاحب الكلمة يرتاح في حياته الزوجية، أما من يُفلت منه زمام الأمور منذ البداية فيكون في وضع لا يُحسد عليه.

أما بعض الأزواج فتنطمس شخصيته ويتأثّر بأخلاقيات زوجته وتوجيهاتها، ولا يهبّ لما يتفاخر به الرجال من الشهامة والكرم وفعل الخير، ولا يشارك في المناسبات الاجتماعية المختلفة فيسقط في نظر الناس وتقلّ قيمته بينهم، والمرأة كما يقول المثل كالفرس تتبع الفارس فمن أحكم قيادها وسياستها يستطيع توجيهها إلى الجهة التي يريد، أما الذي لا يستطيع تطبيعها فغالباً ما تجمح به وتتوه به في مسالك الردى والمهالك.

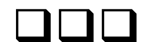
وبعض النساء تكون عوناً لزوجها في سرّائه وضرّائه، ترضى بما يرضى به وتقنع بما يقنع به، وبعضهن تنقلب عليه إذا ما عضّه الزمن بنابه أو إذا أُغلقت في وجهه سبل العمل والرزق لبعض الوقت، فلا تُريه إلا وجهاً مكشّراً، ولا تسمعه إلا ما يسوءه من الكلام، وبعض النساء تكون عوناً لزوجها على تقلبات الدهر، وبعضهن تكون مع تقلبات الدهر على زوجها.

وقد حدثني أحد الأصدقاء بأنّ رجلاً كانت امرأته تـتحكّم فيـه وتفـرض رأيها عليه في أكثر الأوقات، فشكا لأحد أصدقائه المجرّبين وقال له مـاذا فعلت أنت حتى استطعت أن تـتحكّم في امرأتـك بهـذا الشـكل، فقـال لـه الأمر بسيط ؛ في ليلة الدخلة دخلت مكشّراً ورأيت قطـة فضـربتها ضـربة قويّة، وعندما رأت زوجتي ذلك أخذت ترتجف مـن الخـوف، ومـن تلـك اللحظـة وامرأتـي تخشـاني، ولا تحـاول أن تعمـل مـا يغضـبني أو يـثير أعصابي، أعجبـت القصـة صـاحبنا، وعـاد إلى البيـت وقـد استشـاط غضـباً وضرب قطة فقتلها، ضحكت الزوجة من غباوة زوجهـا وقالـت لـه: هـذه فاتتك من ليلة الدّخْلة.

صراع الأجيال:

لا تكون حياة الناس جميعهم سمناً على عسل فهناك مـن يتّفـق وهنـاك من يختلف، وكثيراً ما تظهر خلافات بين الحماة وكنّتها تفرضها فـوارق العمر، فبينما نرى المرأة الشابّة تنهمك في عمل مـا وتحـاول أن تقـوم بـه على أكمل وجه نرى امتعاضاً على وجه الحماة التي لا يروقها هـذا العمـل لسبب أو لآخر، وربما يكون العكس حيث تعاكس الكنّة حماتها وتعـرف ما يضايقها فتتعمّـد الإسـاءة إليهـا لأنهـا عجـوز خرفانـة حسـب وجهـة نظرها، وربما تـهبّ مشادات كلامية يضطر الـزوج للتـدخّل فيهـا وإنهـاء

الخلاف مبيناً أن ما يغضب والدته يغضبه أيضاً، وإذا كانت المرأة على قدر من الذكاء فهي تُساير الوضع حتى لو لم يعجبها بشكل أو بآخر من أجل خاطر زوجها والمثل يقول: "علشان خاطر عين تكرم مرج عيون[٥٧]"، وكذلك " على شان خاطر الورد بيشرب العُلَّيق.





(٥٧) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

الفصل التاسع

همومُ الحَمْل والولادة

ما إن تمضي أسابيع قليلة على زواج الفتاة البدوية، ودخولها بيت الزوجية إلا وتبدأ في التفكير في الحمل والولادة وفي إنجاب الأطفال، وقد يكون السبب الأول والأهم في دوافع هذا الإحساس هو طبيعة تكوينها الأنثويّة التي تهيئها لحمل هذا النسل المبارك، وغريزة الأمومة التي تكمن في أعماقها وتنتظر فترة الانطلاق.

وهناك أسباب أخرى ربما لا تفكّر فيها الفتاة في بداية زواجها، ولكنها تصبح من الأمور التي تقضّ مضجعها فيما لو تأخّر حملها لفترة طويلة.

فإنجاب الأطفال من الأمور التي تُرسّخ قواعد المرأة في بيتها، وتجعلها أمّاً لها قيمتها واحترامها في الأسرة، وتوطّد أواصر المحبة والتفاهم والترابط بينها وبين زوجها وأفراد عائلتها.

وإذا تأخّر حمل المرأة لفترة طويلة تبدأ الأقاويل تدور حولها، فهي في نظر بعض النسوة عاقر، والمرأة التي لا تنجب كالشجرة التي لا تثمر؛ و"الشجرة بلا ثمرة قطعها حلال[٥٨]".

وهكذا تدور حولها كوابيس من مثل هذه الأقاويل تفقدها راحتها، وتظلّ تحوم حولها إلى أن يرزقها الله سبحانه بالخَلَف.

أما إذا حملت المرأة فعليها أن تحافظ على الجنين الذي في أحشائها، ولا تُعَرّض نفسها لحمل الأشياء الثقيلة، ولا تُجهد نفسها في الأعمال المنزلية أو غيرها، وكذلك عليها أن تتّبع عدة خطوات للمحافظة على هذا المولود المنتظر حتى يأتي إلى الحياة الدنيا سليماً معافى، ومن هذه الإجراءات:

الماسكة:

بعد أن تحمل المرأة وتكون في الأشهر الأولى من حملها تتعرّض أحياناً لآلام خفيفة في البطن من مغصٍ أو غيره الأمر الذي يجعلها تخشى على جنينها من الأذى أو السقوط وعليها أن تتخذ الحيطة والحذر للمحافظة عليه، فتذهب بصحبة حماتها أو لوحدها إلى أحد الشيوخ الذين يعملون "الحُجُب" ليعمل لها "ماسكة"، حتى لا تسقط جنينها ويظلّ ممسوكاً في

(٥٨) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

بطنها إلى أن تنجبه في وقته الطبيعي، والماسكة عبارة عن ورقة تُكتب عليها آية الكرسي من سورة البقرة من القرآن الكريم، وتُلَفّ على شكل مربّع أو مثلّث، وتُغَطّى بالورق اللاصق، أو بغطاء جلديّ حتى لا تصاب بالنجاسة، وتوضع في الحزام من جهة البطن، حتى يثبت الحمل بعون الله تعالى، وقد تبقى في حزام المرأة إلى أن يتحرّك جنينها، وعادة ما تشعر المرأة وهي تضع الماسكة على بطنها بشيء من الراحة والطمأنينة لما فيها من الآيات القرآنية الكريمة.

حجاب القرينة:

أما إذا أسقطت المرأة قبل هذا الحمل فغالباً ما تكون كثيرة القلق عند حملها، تساورها الشكوك والأوهام، وقد يسود اعتقاد بأنها مصابة بـ"القرينة"، وهي نوع من الجن يؤذي البشر ، وهي التي تعيقها عن الحمل في بداية الأمر، وهي كذلك التي تُسقط جنينها في الأشهر الأولى من حملها، ولذلك فهي تطلب من الخطيب أو الشيخ أن يعمل لها "حجاب قرينة"، لتطرد تلك القرينة التي تلازمها وتنغّص عليها حياتها، ولذلك فالحجاب المذكور كفيل بطردها وإبعادها إلى غير رجعة.

معرفة نوع الجنين:

بعد أن يصبح للمرأة عدة أشهر من الحمل تبدأ في التفكير في نوع الجنين، وهل هو ذكر أم أنثى، وقد يشاركها الزوج في هذا التفكير من أجل تهيئة الجو للمولود المنتظر، وهناك علامات تستدلّ من خلالها المرأة على نوعية هذا الجنين الذي تحمله في أحشائها، في العصر الذي لم تكن تتوفّر فيه أجهزة الأولترا ساوند. فإذا كان الثقل في الجهة اليمنى من البطن فهي حامل بولد ذكر، لأن الولد يكون في جهة اليمين، وهي عندما تسير ترفع رجلها اليمنى بتثاقل وتستند على اليسرى وكأنها تظلع، فيدرك من يراها بأنها حبلى بصبي ذَكَر لا محالة.

وكذلك فإن الأم المجرّبة تعرف حركة الجنين الذكر من الأنثى، لأن حركته أثقل بعض الشيء وغالباً ما تكون في جهة اليمين.

الوضع:

عندما تشعر المرأة بآلام المخاض واقتراب ساعة الوضع، تستدعي امرأة متقدّمة في السنّ لتقف بجانبها وتكون قريبة منها في ساعة وضعها، وقد تكون تلك المرأة أمها أو حماتها، أو امرأة أخرى من العائلة، أو داية محترفة إذا وُجدت، حيث تسخّن لها ماءً وتحضّره لتحمّم به الوليد بعد

ولادته مباشرةً، وكذلك تحضّر الصابون والأقمطة وقطع القماش الناعمة التي تلفّ بها الطفل، والتي تكون الأم قد أعدّتها من قبل.

ويُقدّم للمرأة النفساء رغيف ساخن من الخبز، لأنها تجوع بعد النِّفَاس مباشرة، ثم يُطبخ لها بعض فراخ الدجاج حيث تشرب من الشوربة الساخنة، لتستعيد بعض قوتها ونشاطها، وتعوّض جسمها بعض ما فقده خلال عملية الولادة. كذلك فإن تناول الرغيف الساخن يساعد على الإسراع في إنزال "الرفيقة" المشيمة، والتي بإنزالها تكون عملية الولادة قد انتهت.

التسرير:

بعد أن يأتي الوليد إلى الحياة الدنيا ويُسْمِع وعوعته الأولى، تتناوله الداية، أو المرأة الموجودة بين يديها ومن ثم "تُسَرّره" أي تقطع حبله السُّرّي، حيث تبقي منه مقدار ١٠ سم، وتلفّ عليه قطعة قماش صغيرة ثم تشدّ عليه بخيط متين شدّاً محكماً لا يسمح بمرور الهواء منه، لأنه إذا كان رخواً فإن الهواء يمرّ منه، ويصبح الطفل يتنفّس من سُرَّتِه كما يقولون، فيبدأ بالصراخ وإذا لم تتداركه امرأة خبيرة فقد يموت من ذلك.

ثم تدهن طرف الجرح بزيت الزيتون، وترشّ عليه شيئاً من حَبّ الرشَاد المسحوق، وهو حبيبات بنيّة اللون في حجم وشكل حبيبات السمسم.

وتضع عليه أيضاً شيئاً من الكُحْل الذي يُعَدّ من سُخام زيت الزيتون. وخلال عدة أيام يذبل الحبل السُّرِّي وتسقط القطعة الملفوفة منه، فتضعها الأم في صندوقها، أو تخبئها في أي مكان في البيت.

ومن السائد أن الذي تُقْطع سرّته في مكان يظلّ يحبّ ذلك المكان ويحنّ إليه، فإذا أكثر أحدهم من التردّد على بعض البيوت تقول له أمه: " أنت سِرّك مقطوع عندهم ". وأذكر أن أحد إخواني كان يفتح صندوق أمي كثيراً ويأخذ منه بعض المأكولات فكانت تقول إنها وضعت سرّته في ذلك الصندوق.

وبعد التسرير أو قطع السُّرّة تقوم المرأة المذكورة بتحميم الطفل بالماء الفاتر والصابون، وتلفّه بالقماش الناعم النظيف وتقمّطه بقماط هو عبارة عن منديل ملفوف، ثم تعطيه لأمه لترضعه من حليبها، وإن لم يكن فيها حليب في البداية فبمجرد ما تحتضن الطفل تدرّ عليه بقطرات قليلة لا تلبث أن تزداد بعد عدة رَضْعَات فيحصل منها على كفايته من الحليب.

البشارة:

بعد ولادة الطفل مباشرة تخرج الداية، أو أي امرأة أخرى من طرفها لتلقي البشارة للزوج الذي ينتظر وليده الجديد بين الخوف والقلق، تنتهبه الهواجس خشية على زوجته أن يحصل لها مكروه، فيخرب

عندها بيته، ويضيع أطفاله. وتقول له إذا كان المولود ذكراً: "ابشر لك بـ"راعي"، أو أبشر لك بـ"رويعي"، وهي تصغير راعي، فيجيبها: "الله يبشرك بالخير".

أما إذا كانت المولودة أنثى فتقول له: "ابشر لك بـ" ورّادة"، تَرْبَى في عزّك وعزّ أولادك"، فيجيبها الجواب التقليدي: "الله يبشرك بالخير".

- والورّادة هي المرأة التي ترد الماء فتملأ جرارها، وكان ورود الماء من الأمور التي تقوم بها النساء حيث يلتقين جماعات عند البئر ويتناقلن الأخبار المختلفة حتى قيل "العِلم بيجيبنه الورَّادات[٥٩]" أي أن الخبر أو الأخبار تأتي بها واردات الماء.

ومن الطبيعي أن المرأة التي نقلت البشارة إلى الأب تكون جديرة بهديّة متواضعة من مالٍ أو ثوبٍ أو شال أو غيره، فيعطيها وهو راضٍ كلّ الرضى ولا يبخل عليها بشيء.

أما بالنسبة للبشارة فإذا كان المولود ذَكَراً، فإن السائد لدى الجميع قبول ذلك بشيء من الرضى والارتياح، وكانت النساء تقول: "بشارة الولد مش زي بشارة البنت".

(٥٩) — من الأمثال البدوية، ص ١٤٨.

أما إذا كانت المولودة طفلة أنثى فإنّ تقبّلها يختلف من عائلة لأخرى حسب وعيها الدينيّ والثقافيّ.. وقد يكون هناك بعض الامتعاض عند بعض العائلات ولكنه سرعان ما يزول وتُقبل تلك الزائرة على الرحب والسعة.

وقد حُدِّثْتُ أن أحد الشيوخ تحدّى هذه الظاهرة فكان كلما أنجبت له زوجته طفلة أنثى، يشتري لها حلية ذهبيّة، وبعد أن وضعت له ثلاث بنات تَلَتْهُم بخمسة ذكور، فكان ذلك من دواعي سروره، وذلك من فضل الله تعالى على عباده. ويحسن بالكثير من الرجال أن يتصرفوا مثل هذا الرجل لأن: "البنت خِلْقة الله"، و"البنات أخوات الأولاد"، وبنات اليوم أمهات الغد، فاستوصوا بالنساء خيراً كما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

التسمية:

لا شك أن المرأة الحامل وزوجها يفكران في اختيار اسم لمولودهما المنتظر، وقد يختارا اسمين؛ اسم لطفلة أنثى فيما لو كانت المولودة طفلة، واسم لطفل ذكر فيما لو كان المولود ذكراً. وقد يتركان ذلك حتى يأتي المولود متمثلين بالمثل الشعبي الذي يقول: "لما نشوف الصبي بنصلّي على النبي(٦٠)"، وكذلك إيماناً منهما بأن: "كلّ مولود اسمه بيجي معه".

(٦٠) – من الأمثال البدوية، ص ١٨٣.

وكان للخطيب أو "الحَجّاب" الذي يعمل الحجب دور في هذه التسمية، فكان عندما يتوجّه إليه أحد الوالدين يطلب منه أن يعطيه الاسم الذي وقع عليه الاختيار، فيجمع قيمة حروف هذا الاسم ويضيف إليها حاصل جمع حروف اسم الأم، ويقسم العدد الناتج على ١٢ وهو عدد البروج، ثم ينظر في كتاب "أبو معشر الفلكي"، فيعرف نوع برجه فإذا كانت المواصفات جيّدة يوافق على هذا الاسم، أما إذا كانت المواصفات لا تدلّ على خير في المستقبل لحامل هذا الاسم فيطلب منهم تغييره، حتى يجدوا الاسم الملائم.

قراءة الآذان في أذن الطفل:

وهناك من يؤذّن في أذن الطفل بصوتٍ خافت حتى يكون أول صوت يسمعه هو: الله أكبر، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، عسى أن يكون مستقبلاً شخصاً تقياً مؤمناً.

التريبق:

وهناك من يضع شيئاً من ريقه على إصبعه ثم يضعها على فم الطفل، وأحياناً داخل فم الطفل، حتى يكون الطفل مثله، متّصفاً بصفاته، وهذه عادة مكروهة وغير مستحبّة، وهي لا تستعمل إلا عند عائلات قليلة،

وطبيعي أنها غير مطلوبة من الناحية الصحيّة، خشية أن يكون صاحب الريق مريضاً بمرض ما، فينتقل بذلك المرض للطفل عن طريق ريقه.

البابونج المغلي:

تغلي الأم أوراق البابونج وهي نبتة معروفة، وتضيف إليها قليلاً من السكر حتى يستسيغها الطفل، وبعد أن تبرد قليلاً وتصبح فاترة، تسقي منها طفلها في الأيام الثلاثة الأولى من ولادته، فتخرج من بطنه مع البراز مادة مخاطية لزجة تسمى عند العامة "صْلاَل"، وهي تسبب له مغصاً وآلاماً في البطن، وبخروجها يستريح الطفل وتصبح معدته نظيفة لاستقبال طعامه الطازج من حليب الأم.

الكَبْسَة:

تحرص المرأة أن لا تدخل عليها في الأيام الأولى من وضعها إمرأة نفساء أو حائض حتى لا "تكبسها"، فإذا دخلت عليها إحداهن دون علمها فإنها تصاب بالكَبْسة هي وطفلها، حيث تظهر بعض البثور الحمراء على جلد الطفل، ثم تنتشر على سائر بدنه، فيبدأ بالصراخ، فتعرف أمه أن طفلها "مكبوس"، وأن عليها لعلاج هذه الظاهرة أن تجمع له "نَشْرَة" وتُحمّمه بمائها.

النَّشْرَة:

تقوم المرأة في الصباح الباكر وقبل شروق الشمس بجمع بعض الأوراق من أشجار التين والجمّيز والأثل أو أي شجرة أخرى، وكذلك تجمع أوراقاً من بعض النباتات مثل الزَّقُّوح والقُضَّاب أو أي نبتة أخرى، وتغلي هذه الأوراق حيث يصبح ماؤها يميل إلى الصفرة، ثم تتركها لتبرد قليلاً، حيث تأتي بقلادتها الذهبية وتغطّها في الماء وترفعها سبع مرّات وهي تقرأ خلال ذلك الشهادتين، وبعد ذلك تحمّم طفلها بذلك الماء فتزول عنه البثور وتعود إليه عافيته.

أما في الوقت الحالي فإن المرأة التي تلد في المستشفى تُحقن بحقنة ضد الكبسة، ولم تعد تتأثّر من أي امرأة تدخل عليها، ولم تعد تخشى على وليدها من الكبسة بعد ذلك.

ورقة اللبن:

غالباً ما يكون حليب الأم قليلاً في الأيام الأولى من وضعها، خاصة إذا كانت "بِكْرِيّة"، أي تنجب لأول مرة طفلها البكر، ولم تتعوّد على الإرضاع من قبل. فلذلك فهي تلجأ للخطيب ليعمل لها "ورقة لَبَن"، وهي نوع من الحجب، حتى تدرّ ويكثر حليبها وتستطيع أن تُشبع طفلها ليكفّ عن الصراخ ويعود إلى هدوئه المعتاد.

المَلْع:

إذا لم يكن الطفل مقمّطاً ومشدوداً كما يجب فإن حمله من يده أو حمله دون قِماط يسبب له المَلْع، ويصبح عندها مملوعاً، وكلما تحمل الأم الطفل يأخذ في الصراخ لأنه يشعر بالألم عند تحريكه، والملع عبارة عن فك بعض المفاصل الطريّة عن بعضها، ولعلاج ذلك تقوم الأم أو الجدّة بوضع قماشة تحت الطفل ثم تضعه في وضع استلقاء على ظهره، وتكسر بيضة وترمي عنها البياض، وتترك الصَّفَار، ثم تضع الصَّفَارَة على بطن الطفل وتحركها بأطراف كفوفها من الأسفل من اليمين إلى الشمال حتى تنفقيء الصَّفَارَة، فتقول عندها ها هو الملع، وتضع على البيضة قطعة قماش ثم تلفّها، وتشد قِماط الطفل فتلتصق البيضة وتجفّ على صدره وفي اليوم التالي تفكّ عنها وتغسل مكانها، ويكفّ عندها الطفل عن الصراخ لأن الملع يكون قد شفي.

الزاقوحة:

أما إذا كان الطفل كثير الصراخ ولا يهدأ إلا إذا حملته أمّه في حضنها لأن "ابن ليلته بيعرف شيلته[٦١]" كما يقولون، فعادة ما تلجأ الأم لعمل أرجوحة خاصة له في البيت تسمى "زاقوحة"، حيث تقوم بربط حبل مزدوج بين عمودين من أعمدة بيت الشَّعْر، وتأخذ كيساً أو بساطاً وتلفّ

(٦١) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

طرفيه كلّ طرف منه على حَبْل حتى يكون يشبه الخُرْج، وتفرشه بفراش دافيء وتضع طفلها فيه وتهزّه ذات اليمين وذات الشمال حتى يهدأ ويكفّ عن الصراخ وينام، فتقوم بعدها لعمل واجباتها المنزلية المختلفة. وقد يكون لديها سرير متحرك يقوم بنفس الغرض، ولكن "الزاقوحة" المذكورة أسهل عملاً ويمكن عملها في كل بيت دون أي عناء، ودون الحاجة إلى أي أدوات خاصة.

المَزْفَر:

وقد تحمل المرأة طفلها الصغير على ظهرها حيث تعقد أطراف شالها الأربعة وتضع طفلها في الشال، وقد تستعمل شالاً أو قناعاً آخر غير الذي تغطّي به رأسها لهذا الغرض، فيكون ظهر الطفل ناحية الأسفل بينما يكون رأسه جهة اليمين، أو يكون فيه الطفل جالساً ورأسه خارج المزفر، وهذه الطريقة تستعمل في الصحراء إذا كانت الأم مُظعنةً أو في سفر، أو إذا كانت ترعى أغنامها ومواشيها فيظلّ طفلها قريباً منها.

وبعد مضيّ أربعين يوماً من الولادة تكون المرأة قد "رَبْعَنَتْ"، وباستطاعتها أن تزاول أعمالها المنزلية والاجتماعية بشكل طبيعيّ، لأنه بمضي الأربعين يوماً تكون قد استردت عافيتها وزالت عنها بقايا شوائب النفاس ولم يعد هناك ما يمنعها من العودة إلى حياتها الطبيعية.

طرق وقاية أخرى:

تظلّ الأم قلقة على طفلها أو أطفالها غير مرتاحة البال حتى لو كانوا أصحاء في وافر الصحة والعافية، فقلب الأم يظل يرفرف حولهم يرقبهم ويرعاهم، ويطرد عنهم ما يمسّهم بالسوء والأذى، وهي تحتاط بطرق مختلفة للحفاظ على أطفالها، ولا تترك طريقة تطرد عنهم السوء إلاّ وتلجأ إليها، ومن بين هذه الطرق التي تتخذها للوقاية:

طرد العين والنَّظْرَة:

فإذا كان أحد أطفالها ممتلئاً وجميلاً، فإنها تخشى عليه من العين، وتحاول أن تبعده عن عيون الناس، فإذا حدث أن نظرت إليه امرأة أو رجل وتوعّكت صحته، فهي تسارع إلى عمل "عُطْبَة" له، و"تُعَطِّب له" حيث تلفّ خِرْقة؛ أي قطعة قماش بطول ١٥سم تقريباً عدة لفّات وتشعل طرفها حتى يخرج منه الدخان، وتضع الطفل بين يديها، أو تضع رأسه على فخذها، وتبدأ تقرأ عليه رُقْيَة خاصة حتى تطرد عنه العين، وتدير يدها التي تحمل العُطْبَة حول رأس الطفل وتقول في رقيتها:

"رقّيتك واسترقيتك من عين اللي ما يصلّي على النبي، رقّيتك واسترقيتك من عين أمك وأبوك، وعين أختك وأخوك، وعين اللي شافَك وما صلّى على النبي، عين الجار فيها نار، عين الحسود فيها عود، عين

الذَّكَر فيها حَجَر، عين البنت فيها بِشْت، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. حَوّطتك بالله من عيني وعين خلق الله، إحنا طبخنا عدس وجيراننا طبخوا عدس أخرجي يا نفس زي المهر ما بيخرج من بطن الفرس. أخرجي يا خارجة زي الحية الدارجة، إنْطَفي يا عين الحسود انطفي".

وبعد أن تفرغ من قراءة الرقية تطفئ العطبة بالماء لكي تنطفي عين الحسود وتقول: انطفي يا عين الحسود انطفي .. ثم تأخذ على إصبعها شيئاً من الرماد الأسود المحترق من العطبة وتضعه على أوسط جبهة المريض وبين عينيه.

وعادة ما تتثاءب وهي تقرأ الرقية، فإذا تثاءبت وسالت دموعها فتكون العين قد أصابت الطفل بالتأكيد وهي تخرجها في هذه الحالة، لأن التثاؤب لدى قراءة الرقية دليل على إخراج العين من المنفوس.

خرزة العين:

وتحتاط المرأة أحياناً لمثل هذه الأمور من باب "درهم وقاية خير من قنطار علاج"، حيث تضع على ابنها خرزة العين وهي خرزة زجاجية زرقاء وبها شكل عين تعلّقها على صدر الطفل حتى تطرد الشيطان وعين من لا يصلّي على النبي.

العُقْد:

وقد تعلّق على صدره "عُقْدَاً" تعمله لها إحدى الصالحات وهو عبارة عن خيط يُجدل على شكل دائرة قطرها ٢سم وتقرأ عليه "الدرويشة" المذكورة وتنفخ عليه وتنفث عليه شيئاً من ريقها، وتعلّقه الأم على صدر طفلها أو في شعره.

حجاب العين والنظرة:

وقد تذهب إلى أحد الخطباء من الذين يعملون الحجب والرقى ليعمل حجاباً لابنها حتى لا يصاب بالعين ومن ثم تعلّقه في شعره حتى لا يراه أحد فيكون في مأمن من إصابة العين، أو قد تعلّقه على صدره ليعرف من يراه أن عليه حِرْزاً واقياً من نظرة العين.

إطالة شعر الطفل:

وقد تترك شعر طفلها يطول حتى يصبح مظهره يشبه منظر الطفلة الأنثى حتى لا يصيبه أحد بالعين لأن البنت لا أحد يلتفت إليها، أو لأن "الناس شبعانين بنات"، وبذلك لا يلتفت أحد لطفلها ويصيبه بالعين.

عدم تنظيف الطفل:

وقد تعمد إلى عدم تنظيف ابنها ولا تلبسه ملابس نظيفة وجديدة خوفاً من أن يصبح كـ "العاجـة" أي دُميـة البلاستيك ويكـون عرضـة للإصـابة بالعين.

تصغير اسم الطفل:

وقد تلجأ المرأة إلى تسمية وليدها باسم مُصغّر كأن تسميه فريج بدلاً من فرج، ولويفي بدلاً من لافي، وحسين بـدلاً مـن حسـن وهكـذا، وكـثيراً مـا تطلق عليه ألقاباً غير جميلة كأن تسميه أبو رُكب، أبو راس، أبـو بربـور وغيرها كثير، وكلّ هذا من أجل طرد عين السوء عنه كما ذكرنا.

الفطام:

ترضـع الأم طفلـها طيلـة عـامين كـاملين، كمـا يـنصّ علـى ذلـك الـدين الإسلامي الحنيف، ثم تفطمه بعد ذلك.

وكثيراً ما "تُغْيل" المرأة، أي تحمل أثنـاء فـترة الرضـاعة فيقـال عنهـا أَغْيَلَتْ، فتقول: "أغْيَلْت وأنا أرضع فلاناً" ، ويكون "حليب الغَيْل" مُضـرّاً بصحة الطفل فيصاب بالإسهال أو بالمغص، فتلجأ أمه إلى تعويده على أكل الطعام حتى تفطمه تدريجياً.

أما إذا لم يكفّ الطفل عن ملاحقة أمه ومطالبتها بإرضاعه فإنها تضع له مادة شديدة المرارة على حلمة الثدي، وهذه المادة تسمى " جِدّة " ويمكن الحصول عليها من عند العطّار، مما يجعله ينفر عن الثدي ويكفّ عن البحث عنه، ويزهد في الرضاعة، حتى ينساها تدريجياً.

وحتى عندما يكبر الابن ويصبح بالغاً يظل قلب الأم يرافقه بعطفه وحنانه ويخشى عليه، فإذا خرج الابن وتأخّر في الرجوع، تظلّ الأمّ في انتظاره بين هواجسها المختلفة، ولا ينام لها جفن إلا بعد أن يعود ابنها إلى البيت سالماً، وغالباً ما تردّد المثل: "لو كان قلب الولد زي قلب الوالدين لاحترقت الدنيا(٦٢)"، وكذلك: "قلبي على ابني وقلب ابني ع الحجر".

فلذلك فالأم جديرة بكلّ احترام، وكلّ خير، ولن نفيها حّقها مهما عملنا وقدمنا لها، فكونوا رحماء بأهلكم وذويكم لأن: "رضى الله من رضى الوالدين(٦٣)".



(٦٢) – من الأمثال البدوية، ص ١٦٤.

(٦٣) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

الفصل العاشر

التطريز

التطريز هو هواية أخرى من الهوايات التي تحبها المرأة وتقضي كثيراً من وقتها وهي تمارسها، إن كان ذلك في صباها أو في شبابها، وهي تتعلم فنَّ التطريز صبيةً من أمها وأترابها، وتُعلِّم بناتها من بعدها لينتقل ذلك الإرث الثمين من جيل إلى جيل. وكم رأينا أمهاتنا وأخواتنا وهن يعملن جاهدات على تطريز ثيابهن التقليدية الجميلة، وكم رأينا فتيات من البادية يرعين المواشي وفي يد كل واحدة منهن قطعة قماش سوداء تطرز عليها أشكالاً هندسية مختلفة لتكمل جزءاً من ثوب تعمل في تطريز قطعه المختلفة.

وكثيراً ما تحمل بعضهن خريطتها أو حقيبتها القماشية التي تضم شَلاَّت خيوطها الحريرية، وبعض إبرها وقطع القماش التي تطرزها.

والتطريز في اللغة: هو وَشْيُ الثياب ورَقْمُها، وطَرَّزَ الثوب ؛ أي وشّاه وزخرفه. وفي الرائد؛ التطريز: هو الوشي والتزيين بالخيوط والرسوم في الثياب أو نحوها.

والتطريز عبارة عن رسمٍ هندسيّ معيّن ترسمه المرأة بإبرتها على قماش ثوبها، أو على أي قطعة قماش أخرى تريدها، وهو يتكون من غُرَزٍ متناسقة بشكل هندسيّ متقن، تأخذ شكل الرسمة التي تريدها المرأة بعد تطريزها، وتتكرر تلك الرسمة مرات ومرات في كثير من الحالات حتى تصبح قطعة هندسية جميلة.

والغُرْزَة تُسمّى عند العامة "رِتْبة" وتُجمع على رُتَب، وحتى غرز العمليات الجراحية تسمى رتب، يقال خاطوا جُرْحَه ١٠رتبات وهكذا..

وكل غرزة متكاملة تسمى "حَبَّة"، وكلّ رسْمة متكاملة تسمى "دار"، تقول المرأة: ظَلّ عَلَيّ دارين، أو ظل على الدار حبّتين وهكذا..

وهناك طريقتان تستعملهما المرأة في تطريز ثوبها هما:

التطريز العادي:

وهو الذي يتكون من غُرزة غُرزة، أو حَبّة حَبّة كما تسميها المرأة، وتكون الحَبَّة منها مكوّنة من غُرزتين متقاطعتين على شكل علامة الضرب "**X**".

وهذا النوع من غُرز الخياطة أو التطريز هو السائد والأكثر انتشاراً لسهولة العمل به، وما زال كذلك حتى اليوم.

التطريز المثَمَّن:

وهو نوع آخر من غرز التطريز ظهر في العقود الأخيرة ولم يكن معروفاً من قبل في الصحراء ، ويتكون من أربع غرزات متقاطعة، هي الحبّة العادية التي ذكرناها أعلاه، ويضاف إليها غرزتان على شكل علامة الجمع (+)، فتبدو وكأنها ثماني غُرز ومن هنا جاءها الاسم (مثَمَّن)، والتطريز بهذه الطريقة أقل جمالاً لكثافة الخيوط والتفافها فوق بعضها البعض ولحجم الحبّة الكبيرة نسبياً.

هذان النوعان من غرز التطريز هما المستعملان في تطريز الثياب حيث يكون الأول في الدرجة الأولى والثاني يأتي بعده وهو أقل منه انتشاراً كما ذكرنا.

ومن عيوب التطريز مَدّ الغرزة بشكل أفقي طويل ثم العودة إليها بغرز قصيرة متتالية فتكون عدة حَبّات قد بُنيت على خيط واحد، والأفضل أن تُطرز كلّ حَبّة بشكل منفرد، وكثيراً ما تقول المرأة لابنتها: "لا تمدّي الخِيطَة"، أي لا تخيطي وتطرزي بهذه الطريقة.

أما لتركيب القماش ووصله ببعضه البعض فهناك عدة أنواع أيضاً من الخياطة هي:

الشلاَلة:

هي خياطة ذات غرز طويلة متتابعة ويفصل بين كل غـرزة منهـا وأخـرى فراغٌ بحجم الغرزة العادية، أي أن المرأة تخيط غرزة ثم تبقي فراغاً بقـدر غرزة وبعدها غرزة أخـرى وهكـذا، فتكـون غـرزة مليئـة وأخـرى فارغـة فتسمى عندها شْلاَلة، وتقـول شِـلِّي الثـوب جيـداً، و "شَـلَّتْ الثـوب: أي خاطته بهذه الطريقة". والشلالة طريقة سريعة لوصل قطع الثوب المختلفة بعضها ببعض ثم العودة إليها بخياطة أقرب غُرَزَاً وأكثر متانـة وهـي مـا يسـمى بــ "التنبيتـة". فتُنَبِّتهـا جيـداً وتكـون بـذلك قـد أخـذت شـكلها النهائي.

التنبيتة:

هي الخياطة ذات الغرز القصيرة المتتابعة والمتقاربة التي لا تفصـل بينهـا فراغات، وهي تستعمل لوصـل قِطَـع الثـوب بعضـها بـبعض وصـلاً متينـاً وجميلاً في آنٍ واحد، فتقول المرأة: نَبِّتِي الثوب جيـداً، أي اجعلـي غـرزه قريبة ومتلاصقة فيكون قوياً، و"نَبَّتَتْ الثوب أي خاطته بهذه الطريقة".

الكفافة:

هي خياطة أطراف الثوب من عنق وذيل وغيره بطريقـة لَـفِّ الخـيط علـى الجوانب المقصوصة كفتحـة العنـق والـذيل وغيرهـا حتـى لا يظهـر مكـان

القصّ، وكذلك للمحافظة على تلك الحواشي حتى لا تنسل خيوطها أو يظهر تشريمها فيقال: كَفَّتِ الثوبَ تكفّه كفافةً، أي خاطته بتلك الطريقة.

🖹 – وفي لسان العرب: وكِفافُ الثوب: نَواحِيه. وكَفَفْت الثوبَ أَي خِطْت حاشيته، وهي الخِياطةُ الثانية بعد الشَّلِّ في تلك الحواشي[٦٤].

إبرة بنت إبرة:

هي نوع من الخياطة يشبه الدَّرْك، ويُخيّط على أسفل ذيل الثوب وعلى زَمّة الأكمام.

عوينة الصوص:

هي خياطة متعرجة على شكل سنّ المنشار، وتحلّ أحياناً مكان التنبيتة في تركيب مفاصل الثوب وقطعه من على الجانبين، وتسميها النساء أحياناً "عِرْوِجّة" نظراً لشكلها المتعرّج.

التكبيسة:

هي خياطة تشبه المناجل ولكنها صغيرة الحجم وتخيّط على أسفل الثوب، وأحياناً تُخيّط بإبرتين من أجل إضافة لونٍ آخر لها. يقال: كبَّسَتْ الثوب؛ أي خاطت أسفله بالطريقة المذكورة.

---

(٦٤) – لسان العرب: مادة "كفف".

الدَّرْك:

هو نسجٌ بالإبرة على ياقة الثوب وعلى زَمّة الأكمام. يقال: دَرَكَتْ الثوب أي نسجت حواشيه بالطريقة المذكورة.

الخْطَافَة:

هي نفس طريقة الدّرك المذكورة، ولكنها تكون بالصنارة وليست بالإبرة.

التكعيبة:

هي خياطة تشبه التكبيسة ولكنها تتكون من أربعة خطوط متوازية وليست من خطين كما هو الحال في التكبيسة، ومكانها على أطراف الثوب السفلى.

خيوط التطريز:

أما الخيوط التي تطرز منها المرأة ثوبها فتتكون من طُبَب من الحرير كل طُبَّة منها تتكون من لفّة خيط بطول ٨٠ متراً، وهذه الطبب تباع في الأسواق أو مع الباعة المتجولين، وتقسم تلك الطبب إلى نوعين حسب لونها:

اللون السادة:

وهي الطبب ذات اللون الواحد وكل طُبَّة منها تكون بلون واحد لا غير.

اللون المونّس:

يكون لون خيطها يتدرج من الفاتح إلى الأكثر غمقاً إلى الغامق ثم يعود إلى اللون الفاتح وهكذا، فالأحمر يصبح في طرف منه وردياً ثم يقترب من البياض، أما الطرف الثاني فيتدرج من الأحمر إلى العِنَّابي ثم إلى العِنّابي الغامق وهكذا، وبذلك يضفي جمالاً على التطريز.

خيوط النايلون:

أما خيوط النايلون الملونة فقد جاءت بعد السبعينات، وهي على شكل لفّات صوفية غير مفتولة تقوم المرأة بفتلها خيطاً خيطاً، وهذه العملية مرهقة ومتعبة، إضافة لكون خيوطها خشنة وسميكة ولا تصلح لتطريز ثوب فاخر، ولذلك فالثياب التي تُطَرز بها تكون للاستعمال المنزلي ليس أكثر، ولم تكن هذه الخيوط معروفة في الصحراء من قبل.

وهناك أدوات أخرى تستعمل في الخياطة والتطريز منها:

الإبرة:

وهي الإبرة العادية وهناك عدة مقاسات مختلفة منها، فهناك القصيرة الناعمة والطويلة الغليظة وتختار منها المرأة ما يناسبها.

الميبرة:

هي المئبرة وهي إبـرة سميكـة وطويلـة لا تسـتعمل للتطريـز بـل لتركيـب بعض القماش السميك بعضه ببعض.

المرَدّ:

هو غطاء معدني به تجويفات صـغيرة يوضـع علـى رأس الإصـبع الوسـطى لـدفع الإبـرة عنـد التطريـز وردّهـا عـن لحمـة الإصـبع، ويسـمى أيضـاً الكشتبان.

الماركة:

قطعة من القماش الأبيض تشبه الشبكة تسـتخدم لضـبط غـرزات التطريـز حيث يمكن عَدّ غرزات كـل صـورة وملاءمـة الأشـكال حتـى تأخـذ شـكلاً هندسياً متناسقاً. وأعتقد أن هذا الاسم جاءها من عبـارة "ماركـة مسـجلة" التي تكون على الغلاف الـورقي الـذي يغلّفهـا، ولمـا لم يجـدوا لهـا اسمـاً أسموها "ماركة"، أو "ميركة" والياء إمالة لحرف الألف عند النطق.

المقص:

هو المقص المعروف وقد تستعيض عنه بشفرة أو بسكين حادة عندما تقـص القماش.

أنواع العروق:

العروق هي رسوم تطرزها المرأة على جانبي ثوبها، حيث يكون على كلّ جهة من الثوب ثلاثة عروق طولية تبدأ من أسفل الثوب وتنتهي عند أعلى الخصر، وهي عبارة عن أشكال هندسيّة مُتقنة لصورة معينة من نبات أو طيور أو غيره، أو لشكل هندسيٍّ خاص، وهذا الشكل يتكرّر حتى يصل إلى طول العِرق المطلوب، فإذا كانت الرسمة للطاووس مثلاً، فإنّ صورته تتكرر حتى نهاية العِرْق وهكذا.

والعِرْق يُسمى في البادية "سِيف" أي سَيْف ويجمع على سيوف، وربما جاءته التسمية من شكله الطولي الذي يكون بطول السيف.أما كلمة عِرْق فهي مستحدثة نوعاً ما، وأصبحت تستعمل في العقود القليلة الماضية.

🖹 – وكلمة عِرْق جاءت من عِرْق النبات لأن عرق التطريز يشبه عرق النبات الذي تتفرع منه الفروع والأوراق ويمتليء بالأزهار والورود.

وهناك أنواع مختلفة من هذه العروق لكلٍّ منها اسم تدل عليه الرسمة التي يتألف منها، فإذا كانت الرسمة لحمامة فإن العرق يسمى ؛ عِرْق الحمامة، وإذا كانت الرسمة لزرافة فإنه يسمى عرق الزرافة وهكذا مع باقي العروق. وكلّ رسمة كاملة في العِرق تسمى "دار"، فتقول المرأة خيطت اليوم دارين من عِرْق الملفوف، أو داراً واحدة أو أكثر وهكذا.

وهذه قائمة بأسماء بعض العروق المستعملة في الثياب:

- عِرْق الإنجاص: نوع من التطريز على شكل حبّة الأجاص المعروفة.
- عِرْق الحمامة: نوع من التطريز على شكل الحمامة.
- عِرْق الحمامتين (في قفص): نوع من التطريز على شكل حمامتين متقابلتين.
- عِرْق الحوت: نوع من التطريز على شكل حوت.
- عِرْق الحية النائمة: نوع من التطريز على شكل حيّة.
- عِرْق الدوالي: نوع من التطريز على شكل ورق العنب (الدوالي).
- عِرْق الزرافة: نوع من التطريز على شكل الزرافة.
- عِرْق السرو: نوع من التطريز على شكل شجرة السرو.
- عِرْق السفينة: نوع من التطريز على شكل السفينة.
- عِرْق الطاووس: نوع من التطريز على شكل الطاووس.
- عِرْق القلوب: نوع من التطريز على شكل القلب.
- عِرْق الملفوف: نوع من التطريز على شكل ثمرة الملفوف.
- عِرْق موج البحر: نوع من التطريز على شكل الموج.
- عِرْق النجمة: نوع من التطريز على شكل النجمة.
- عِرْق الورد: نوع من التطريز على شكل الورد.

ولا بد أن نشير إلى أن الكثير من هذه العروق هي أنواع مستحدثة ولم تكن موجودة في الصحراء من قبل.

النَّتْرَات:

وهي العروق الخفيفة غير كثيفة التطريز، وسميت نـترات لنثـر حباتهـا وغُرَزها ووجود فراغات بينهـا بـالرغم مـن تناسـقها إلا أن عـدم كثافتهـا وانتثارها كما ذكرنا قد أكسبها هذا الاسم.

المناجل:

نوع من التطريز بعرض حوالي ٢ سم يتكون من غرزتين طويلتين الواحـدة على رأس الأخرى وتلتصق غرزاته فوق بعضـها الـبعض فيبـدو متناسـقاً، ويُغيّر لون فتلة الخيط بين الحين والآخر فيبدو ملوناً وجميلاً. وهو يطرز على مفاصل الثوب وأماكن وصل القطع ببعضها فيخفي مكان وصلها فيبـدو الثوب أكثر تناسقاً وجمالاً. وقد استعمل هذا النوع في الثياب الخفيفة بدل العروق الثقيلـة والكثيفـة التطريـز حيـث لا حاجـة لعـروق ثقيلـة لثـوب الشغل أو البيت.

🖹 – وربما جاءه الاسم من شكل الغـرزتين الطـويلتين، وكـأنّ كـل غـرزة منه سَحْبَة منجل لطولها بعكس الغرزة العادية القصيرة.

قماش الثياب:

القماش الذي تصنع منه المرأة البدوية ثوبها هو قماش سميك أسود غامق اللون، تطرز عليه ما تريده من أشكال التطريز المختلفة، وهناك عدة أصناف من القماش الأسود الذي تستعمله المرأة لهذا الغرض:

- **الدوبيت**:

وهو قماش قطني سميك وثقيل لا يكشف ولو بعض الظلال الخفيفة من الجسم وسواده يميل إلى الزُرقة، والعامة تُسميه قماش "ثوبيت".

- **الحَبَر**:

وهو قماش أقل سمكاً، ويتميز بنعومة ومُلُوسة خاصة، ولكنه أيضاً لا يكشف ما تحته بسبب كثافة خيوطه، وسواده يبدو رجراجاً مع ميلٍ إلى شيء من الصُّفرة.

🗎 – وقد يكون جاءه هذا الاسم من كلمة حَبَرَة التي تعني القماش اليمني الناعم، كما ورد في اللسان في مادة "حبر": والحِبَرَةُ، والحَبَرَةُ: ضَرْبٌ من برود اليمن، والجمع حِبَرٌ وحِبَرات. قال المَرَّارُ العَدَوِيُّ:

قَدْ لَبِسْتُ الدَّهْرَ من أَفْنَانِهِ كُلَّ فَنٍّ ناعِمٍ منه حَبِرْ(٦٥)

---

(٦٥) – لسان العرب: مادة "حبر".

ثم ظهرت أصناف أخرى من القماش منها الدولين، والدرافيل وغيرهما.

الثياب وأنواعها:

نود أن نشير قبل أن نذكر أنواع الثياب إلى أن جيل المرأة هو الذي يحدد نوعية ثوبها من حيث كثافة التطريز، وعرض العروق واختيار الألوان ونوع القماش والخيوط.

ثوب الفتاة قبل الزواج:

الثوب الذي ترتديه الفتاة قبل زواجها يكون عادة مطرزاً بالألوان الخفيفة والتي يبرز من بينها اللون الأزرق وتكون عروقه رفيعة ولا كثافة في تطريزه، وهو يدلّ على الحياء والخجل التي تتصف بهما الفتاة قبل زواجها.

ثوب المرأة المتزوجة:

أما ثوب المرأة المتزوجة فتبرز فيه كثافة التطريز وبروز اللون الأحمر بشكل جالب للأنظار، وقد يكون مطرزاً باللون الأحمر بالكامل، ويلاحظ فيه العروق العريضة، وكثافة التطريز على الذيل والقبة والحِجْر والأكمام.

ثوب المرأة المتقدمة في العمر:

أما ثوب المرأة المتقدمة في العمر فيبرز من خلال تطريـزه بـاللون الأزرق أو الأخضر وبعض الألوان الأخرى الخفيفة، وتكون عروقه أعرض من عـروق ثوب البنت، وهو يدل على الحشمة والوقار التي تتميز بهـا المـرأة الأم في مثل هذه السن.

وكانت كلّ فتاة قبل زواجها تقضـي معظـم وقتهـا في الخياطـة والتطريـز، فكانت تطرز ثياباً ثقيلـة كثيفـة التطريـز، تعـدّها للـزواج حتـى تأخـذها معها لبيتها الجديد، وكانت كلما تنتهـي مـن ثـوب تبـدأ في ثـوب آخـر، وهكذا حتى يصبح لديها من الثياب ما بين ١٥ إلى ٢٠ ثوباً، وكلمـا تـأخر زواجها يزداد عدد الثياب الـتي تطرزهـا وتعـدّها لهـذا الغـرض، أمـا إذا داهمها الزواج المبكر فكثيراً ما تلجـأ لقريباتهـا وصـديقاتها لإعـداد عـدة ثياب أخرى على وجه السرعة.

وطبيعي أن الفتاة تنتقي ألوانها بعناية فائقة، وتختـار العـروق العريضـة والتي يبرز من بينها اللون الأحمر لون الفتوّة والشباب. وبعد الزواج تقـلّ نسبة التطريز عند المرأة، بسبب انشـغالها بزوجهـا وشـؤونها الأسـرية، وكذلك إذا أتى الإنجاب سريعاً فتنشغل في تربيـة الأطفـال، ولكنهـا بـين الحين والآخر تستغلّ شيئاً من الوقت لتطرز فيه ثياباً أخرى.

أنواع الثياب:

- ثوب البيت، أو ثوب الشُّغل:

وهو ثوب خفيف التطريز قليل الألوان تلبسه المرأة في المنزل، حيث تقوم بمزاولة أعمالها اليومية ولا حاجة لثوب ثقيل من أجل ذلك قد يتعرض لبعض الأوساخ من أعمال البيت المختلفة.

- ثوب الدَسّ:

هو ثوب مليء بالتطريز، تتفنن المرأة في تطريز عروقه وقُبَّتِه وأجزائه الأخرى، ويستغرق معها وقتاً طويلاً قد يصل عدة أشهر في تطريزه وتركيبه وما شابه، وهي ترتديه عندما تكون على سفر، أو في المناسبات المختلفة كحفلات الأعراس والختان وغيرها. وغالباً ما يكون اللون الأحمر بارزاً في هذا الثوب.

🖹 – وكلمة دَسَّ يدسُّ بمعنى خبّأ وأخفى، أي أن هذا الثوب يكون مُخَبَّأً ولا يُلبس إلاّ في المناسبات كما ذكرنا.

- ثوب الطَّلْس:

وهو الثوب الذي يكاد يكون مطرزاً بالكامل باللون الأحمر، وهو ثوب ثقيل، ذو عروق عريضة، يطرز حجره بتطريز كثيف وكذلك ذيله

وأكمامه، وتلبسه المرأة في الأفراح والمناسبات، وقد جاءه هذا الاسم من كلمة طلس يطلس طلساً فهو مطلوس، والمطلوس هو المليء بالشيء من أوله إلى آخره، يقال "مطلوس طَلْس" أي مليء كله بالشيء المذكور من خياطة وتطريز أو غيره.

- ثوب الحِداد:

هو ثوب ذو تطريز خفيف يكون تطريزه باللون الأخضر أو الأزرق فقط ولا ألوان أخرى فيه، وهو يلبس في أيام الحداد على المتوفين من أقارب المرأة. وكانت فترة الحِداد تدوم إلى انقضاء العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك، وعلى المرأة أن تلبس هذا الثوب طيلة فترة الحِداد وقد تطول هذه الفترة أو تقصر بحسب قرب وفاة المتوفى من العيدين.

أقسام الثوب:

يتكون ثوب المرأة البدوية من عدة أجزاء، لكل جزء منها اسم خاص به وله أيضاً تطريز خاص به، حيث تقوم المرأة بعد أن تفرغ من تطريز هذه الأجزاء بجمعها وتوصيلها بعضها ببعض فيتكوّن منها ذلك الثوب العربي الجميل الذي نعرفه ونألفه، وأجزاء الثوب هي: القبة، البَدَن القدّامي، البَدَن الورّاني، البنايق، الأكمام.

- القُبَّة:

هي القسم العلوي من الثوب من جهة الصدر، وهي قطعة مربعة مطرزة تطريزاً كثيفاً تغطي الصدر بأكمله، وتكون بها من الأعلى فتحة العنق وهي فتحة دائرية تسمى الياقة، تنفرج منها من الأمام فتحة مستطيلة متجهة نحو الأسفل تسمى فتحة الجيب، ويكون تحت القبة بطانة من قماش الثوب نفسه. والقبّة هي التي تكشف جمال الثوب وبهاءه، وتجدر الإشارة إلى أن القبّة العادية هي التي تُخيّط على البدن الأمامي، أما القبّة التي تُخيّط على قطعة قماش منفردة فتسمّى "قبة رَحَّالية"، ثم تُرَكَّب على البَدَن فيما بعد.

🖹- وقد سميت القبة بهذا الاسم لأنها تكون في أعلى الثوب كما تكون القبّة في أعلى البناء.

ومن الأمثال الشعبية قولهم: "أَكَلْهَا قُبَّة وردَان"، أو فلان أكلها قبة وردان، أي أنه أكل علقة محترمة.

- البَدَن القُدّامِي:

هو الجزء الأمامي من قماش الثوب ويبدأ من أسفل الثوب وحتى أعلى الكتفين، ويُطرّز عليه عِرقٌ عريض في طرفه الأيمن يبدأ من أسفله حتى الخصر، وعرق آخر مشابه له في طرفه الأيسر وتكون هذه العروق

متشابهة مع العروق التي على البدن الوراني ومع العروق التي على البنائق لأنه يجمع بينها عند تركيب أجزاء الثوب، فيكون على الجانب الأيسر من الثوب عرق من البدن الأمامي وبجانبه عرق البنيقة وبعده عرق البدن الخلفي، وكذلك في الجانب الأيمن من الثوب.أما التطريز على الجزء الفارغ من البدن الأمامي فيختلف وضعه حسب عمر المرأة، فالفتاة الشابة تُكثر من التطريز على البدن حتى تغطي الجزء الأكبر منه، أما المتقدمة في السن فتطرز عليه شريطاً رفيعاً من الأسفل وتترك الباقي بلا تطريز.والبَدَن يُجمع عند العامة على "بْدُون".

- البَدَن الوَرّانِي:

هو الجزء الذي يقابل البدن الأمامي من الخلف، والتطريز عليه يشبه التطريز على البدن الأمامي كما ذكرت.

- البنايق:

والواحد منها بنيقة وهي قطعة طولية من قماش الثوب تبدأ من أسفل الثوب حتى الإبط، وهناك بنيقة في جهة اليمين تكون فوق الساق والفخذ الأيمن،وأخرى في جهة اليسار، ويُطرز على كل بنيقة عِرْق واحد فقط يكون مشابهاً للعِرْق الذي على البنيقة المقابلة، ومشابهاً للعِرْقين الذين

على البدن الخلفي والبدن الأمامي، وبذلك يكون في كل ثـوب بنيقـة يمنـى وبنيقة يسرى.

🖹 – وقد ذُكرت البنيقة والبنائق في الشعر العربـي في أكثـر مـن موضـع، وقد تحرينا بعضاً منها ونسوقها هنا زيادة في الإيضاح وإكمالاً لصورة هـذا البحث.

ففي مادة بنق من لسان العرب:

والبِنَقة والبَنِيقةُ: رُقْعة تكون في الثوب كاللَّبِنةِ ونحوها، وقيـل: البَنِيقـة لَبِنة القميص، والجمع بَنائقُ وبَنِيقُ؛ قال قيس بن معاذ المجنون:

يَضُمُّ إليَّ الليلُ أَطْفالَ حُبِّها كما ضَمَّ أَزْرارَ القَمِيصِ البَنائقُ

أما طرَفة بن العبد فيقول في معلقته:

تلاقى، وأَحياناً تَبِينُ كأَنها بَنائقُ غرٌّ في قَمِيصٍ مُقَدَّدِ

ويقول نُصَيْب وكان أسود اللون:

سَوِدْتُ فلم أَمْلِكْ سَوادِي، وتَحْتَه قَمِيصٌ من القُوهِيّ، بِيضٌ بنَائقُهْ

أما الفرزدق فيصف ناقته قائلاً:

تَظَلُّ بعيْنَيْها إلى الجَبَلِ الذي عليه مُلاء الثَّلْجِ بِيضُ البَنائِق

- الأكمام:

وتسمى الردَانَات والواحد منها رِدْن، ويكون على كل ردن منهـا شـريط طـولي من التطريز يبدأ من الكتف إلى آخر اليد، وكذلك تطريز ناحية زمّة اليد.

🗎 – وفي اللسان في مادة ردن: الرُّدْنُ، بالضم: أَصل الكُمّ. يقال: قميص واسع الرُّدْن. وقيل: هو الكمّ كله، والجمع أَرْدانٌ وأَرْدِنَة. وأَرْدَنْتُ القميصَ ورَدّنْته تَرْديناً: جعلت له رُدْناً، وفي المحكم: جعلت له أَرْداناً؛ قال قيس بن الخَطِيم الأَنصاري:

وعَمْرَةُ من سَرَواتِ النِّساءِ   تَنْفَحُ بالمسكِ أَرْدانُها

العِبّ:

هو جَيْب يكون تحت القبّة فوق الصدر، وله فتحة من جهة اليمين تضع فيه المرأة حافظة نقودها أو بعض أشيائها الصغيرة.ويجمع على "عبُوب".

الذيل:

هو الجزء الأسفل من البدن الخلفي، أو المساحة الموجودة بين العرقين المطرزين على جانبي البدن الخلفي من الأسفل حيث تُطرز عليه بعض الشجيرات الطولية أو الأشكال الأخرى بارتفاع قد يصل ٣٠ سم، وأحياناً يترك بلا تطريز.

زِيق الثوب:

هو شريط طولي أسفل الثوب وعليه تطريز في الغالب وله بطانة سميكة من القماش مما يجعله قوياً ومتيناً ويحافظ على الثوب من الانثناء أو التمزق. وتقول المرأة زَيَّقْتُ الثوب.

🖹 – وزيق الشيء؛ طرفه أو حافته، يقال جلست على زيق فلان، أي جلست بجانبه، جلس على زيق الحائط، أي جلس بجانبه وهكذا.

وهناك بعض كلمات تتعلق بالخياطة والتطريز نذكر منها:

– الفَتْلة: وهي القطعة القصيرة من الخيط.

– لَضَمَ الإبرة: أي وضع فيها الخيط، وتوجد هذه الكلمة في بعض معاجم العربية، ولكنها تحمل معنى آخر يختلف عن المعنى الذي يصطلح عليه الناس هنا.

– الوَرْب: هو القصّ المائل للبنائق حيث تكون عريضة من الأسفل ثم تضيق تدريجياً نحو الجهة العليا.

– الخَصْر: تضييق الثوب عن طريق ثنيه من جانبيه أو من خاصرتيه ومن هنا جاءه الاسم وتخييطه بالعرض المناسب دون قَصّ ما ثُنِيَ منه حتى يمكن إرجاعه إلى وضعه السابق إذا ما اقتضت الضرورة ذلك.

– الخَبْن: تضييق الثوب من عند الحزام من الداخل وتخييطه بالطول المناسب دون قَصّ ما ثُنِيَ منه حتى يمكن فكّه وإرجاعه إلى سابق عهده إذا ما اقتضت الضرورة ذلك، وهذا يعني تقصير طول الثوب.





قُبَّـة الثوب

الفصل الحادي عشر

من هوايات المرأة.. تربية الدجاج

من الأمور المحبّبة لدى المرأة البدويّة والمفضلة لديها تربية الدواجن، وخاصةً الدجاج منها، فتربية الدجاج تشكّل مصدراً مهمّاً لتسليتها وإدخال المتعة إلى نفسها، فهي تقضي كثيراً من وقت فراغها أمام قُنّ الدجاج، تنظّفه، وتغلق الثغرات الصغيرة التي في جوانبه حتى لا تدخله الفئران، التي غالباً ما تأكل الصيصان الصغيرة، وهي تتفقّد كذلك دجاجاتها وصيصانها حتى تطمئن على وجودها سالمة لا ينقص منها أحد.

وما أعظم سرور المرأة وهي ترى بعض دجاجاتها تسير ومعها رِقْدٌ (مجموعة) من الصيصان الصفراء الصغيرة، حيث "تَرُقّ" الدجاجة الأم بصوتٍ خاص "رُقْ رُقْ" فتتبعها الصيصان حيثما سارت، وتكون المرأة قد أعدّت بعض فتات الخبز، وحَبّ القمح أو الشعير، خاصة وأنّ الدجاجة الأم قد قضت فترة طويلة وهي ترقد على البيض فسقط كثير من ريشها وأصابها الضعف والهزال، وهي الآن أشبه بالمرأة النفساء بحاجة إلى نقاهة، وإلى مزيدٍ من الطعام حتى تعود عافيتها إليها، وتستردّ قوتها ونشاطها.

ونحن في هذا الفصل نلقي الضوء على كثير من الأمور التي تتعلق بتربية الدجاج وإليك أهمها:

الخُصّ:

هو قُنّ الدجاج ويجمع على "خْصُوص"، يقال خُصّ الدجاج؛ أي قنّها، وبناء الخُصّ من الأمور الخاصة بالمرأة والتي لا يتدخّل بها الرجل، لأنه من العيب أن يتدخّل في مثل هذه الأمور، وكانت المرأة في السابق تبني خُصّ دجاجاتها من نبات البلاّن، وهو نبات شوكيّ معروف، حيث تجعل جدرانه من هذه النباتات الجافة، وتضع عليه أعمدة خشبية تغطيها أيضاً بهذه النبتة، وتضع عليها حجارة ثقيلة فتكون بذلك سقفاً ثقيلاً ومتيناً، وتجعل له فتحة من الأمام تغلقها بخشبة عريضة وتلصق عليها حجراً ثقيلاً يُحكم إغلاقها، ويمنع خروج الدجاج منها في الليل، ويحميها من الثعالب أو الكلاب الجائعة.

وقد تستعمل المرأة بعض براميل المياه القديمة والغير صالحة لتجعل منها جدراناً للخُصّ، وتغطيها بالأعمدة الخشبية أو الحديدية وتضع عليها ألواحاً من الخشب أو الحديد، وترمي عليها الحجارة الثقيلة حتى لا يُطَيِّرها الريح، وتكون راسخة ومتينة، وهذه الطريقة أسرع وأقوى من سابقتها.

أما ارتفاع الخُصّ فيبلغ حوالي المتر أو أقل من ذلك بقليل، وتكون له فتحة من الأمام، يمكن إغلاقها عند المساء ببرميل آخر وحجر كبير يسمّى "ثقّالة"، حيث يُفتح في الصباح لتخرج الدجاجات لتبحث عن غذائها، وتنثر لها المرأة بعض حفنات من حبوب القمح أو الشعير، وتناديها بقولها: تِيعَهْ تِيعَهْ كِتْ كِتْ كِتْ "، وتردّد ذلك عدة مرات فتسمعها كلّ الدجاجات فتأتي تتسابق إلى التقاط هذه الحبوب بينما ترتسم ابتسامة عريضة على ثغر المرأة تنمّ عن رضاها وهي ترى دجاجاتها في هذه السعادة الغامرة.

ومن هذه الـ "كَتْكَتَة" التي تنادي بها المرأة على دجاجاتها جاءت كلمة "كتكوت" التي تعني الفرخ الصغير، وذلك لأن اللغة العربية هي لغة الفطرة والبساطة، وهي تستقي مصادر مفرداتها من هذه الأصوات التي تخرج بتلقائية من أفواه الناس، والأمثلة كثيرة في هذا الباب ولا يمكن حصرها في سياق هذا الموضوع.

أما لزجر الدجاج وطرده فتزجره المرأة بقولها "تِيعَهْ" بصوت عال، فتهرب الدجاجات وتعود إلى مكانها أو إلى قنّها.

أما لزجر الديك لوحده فتزجره بقولها: "دِكّ"، وأحياناً تقول: "دِكّ اطلع بَرّا". فينكص الديك على عقبيه ويعود إلى مكانه، وكلمة "دِكّ" هي لغة من كلمة ديك.

أنواع الدجاج:

أما الدجاج الذي تربيه المرأة البدويّة فيقسم إلى نوعين؛ الأول هو النوع البلديّ الشائع، وهو الأكثر انتشاراً وله ألوان زاهية مختلفة، والنوع الآخر يسمى الدجاج "الرقَابي"، وهو يشبه النوع الأول ولكنه ذو رقبة جرداء لا ينبت عليها الريش ويكون أيضاً ديكها ديك "رقَابي" من نفس الصنف، وهذا النوع أقل من سابقه انتشاراً.

والدجاج منه: الفَرُّوجة وهي الفتيّة من الدجاج وتجمع على فراريج، ومنه العُتْقِيّة وهي الدجاجة البالغة الكبيرة السنّ، وتجمع على عَتَاقي، وقد يكون جاءها هذا الاسم لأنها أصبحت عتيقة نوعاً ما أي قديمة، يقال شيء عتيق أي قديم. وهناك مثل شعبيّ يقول: "الدِّهْن في العتاقي"، ويقصد به أن الكبار في السنّ فيهم بعض القوة والشباب كما يكون في العتقيّة بعض الدهن والشحم.

أما الديوك، فيسمّى الصغير منها صوصاً، وعندما يكبر ويقلّد والده الديك البالغ في الصياح يسمّى ديكاً، وصياح الديك يسمّى عند البدو

"معَاعَاة"، يقولون عَاعَا الديك، وهو يُعَاعِي، وقد قال شاعر شعبي أبياتاً قد توضح المعنى يخاطب فيها ابناً له يدعى "مالك" ويوصيه بقوله:

يا مالك اسمع كلامي يوم أوصِّيك ولا تعتني لا بذا ولا بذاك
أوصِيك يا مالك من مْرَافَق الديك من رافقه عاعا معاعاة الأدياك

ترقيد الدجاج:

عندما تبيض الدجاجة عدداً معيناً من البيض فإنها ترقد عليه وتحضنه وتبدأ تُخرج صوتاً خاصاً، فتعرف المرأة أن دجاجتها "راقد"، فتنتهز الفرصة لتضع تحتها عشرين بيضة أو أكثر بقليل، وإذا لم يكن لديها ما يكفي من البيض فهي تشتري من عند جاراتها حتى تُتمّ العدد، ويجب ألاّ يزيد العدد عن ذلك حتى تستطيع الدجاجة تغطيته بريشها عندما ترقد عليه وحتى تصل إليه حرارة صدر الدجاجة بالتساوي، والبيوض التي لا تتغطى ولا تكون تحت حضن الدجاجة فهي غالباً ما تفسد وتصاب بالعطب. وتسمى الدجاجة في هذه الحالة: دجاجة راقد وجمعها "رُقَّد"، وتستغرق فترة احتضان البيض ٢١ يوماً بعدها تبدأ الكتاكيت بالتفقيس أو "التطقيش"، أي الخروج من البيض.

ولا تكون جميع البيوض صالحة حيث يتبقى بعضها دون تفقيس وتخضّها المرأة فإذا سمعت لها صوتاً فيكون البيض "حايض"، حيث

ترميها فتنكسر وتخرج منها رائحة كريهة عند كسرها، والبيضة الفاسدة تسمى "بيضة حايضة" والجمع "بيض حايض".

أما مجموعة الكتاكيت أو "الصيصان " فتسمى "رِقْد"، أو "رِقْد صيصان" حيث نقول خرجت الدجاجة ومعها رِقْدها أي صيصانها.

وإذا كان التفريخ في شهر آب حيث لا يوجد ربيع ولا زرع ،فتخرج الصيصان هزيلة ومريضة لعدم توفر الغذاء، فتسلق لها المرأة بعض البيوض وتفتتها لها وتطعمها منها حتى تكبر قليلاً ويصلب عودها ، وهناك مثل يقول: "فلان زي رِقْد التين اللي بياكل وبِنِين[٦٦]".

رِقْد التين أي الصيصان التي تفقس في موسم التين وهو شهر آب، وهي مهما تأكل تظلّ تئنّ من الضعف والهزال.

وكلمة أخرى وهي: فلان مْصَوِّص؛ أي أنه ضعيف وهزيل ويشبه ذلك الصوص المذكور.

وعندما تفقس الصيصان تكون مكسوّة بزغب أصفر ناعم وهو يسمى " ريش حَرَام "، أما الريش الطبيعيّ الذي ينبت بعد ذلك فيسمى "ريش حَلاَل".

وربما نذكر هنا بيت الحطيئة الذي استعطف به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليفرج عنه بعد ما سجنه حيث يقول:

---

(٦٦) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْب الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ونسوق هذا البيت لذكر الزغب، والحواصل، فالحوصلة تسمى عند البدو "مُحْصُلَّة".

وكثيراً ما يعمد الأولاد الصغار إلى طرد الدجاجة الراقدة، فتنفر وتخرج من على بيضها، وإذا تكرّرت العملية فإنها تكفّ عن احتضان البيض فيقال عندها، طَيَّرَت الدجاجة، وهي دجاجة مْطَيّرة.

وعندما تكبر الصيصان، ويبلغ عمرها شهرين أو أكثر وتصبح في وضع يمكن ذبحها وأكلها تسمى الذكور منها "ديوك مسْتَذبحات"؛ أي أنها أصبحت قابلة للذبح والأكل.

أما الإناث فتُترك وتُربّى لتصبح فراريج فيما بعد، وإذا كانت الديوك كثيرة فإن المرأة تبيع عدداً منها، وتترك ديكين أو ثلاثة ليكونا ديوك المستقبل.

فحص البيض:

وليست كلّ البيوض تصلح للوضع تحت الدجاجة الراقدة، بل تلك التي تكون بها "كَبْسَة" الديك، أي لقاح الديك، ولكي تعرف المرأة ذلك، فهي تقوم بفحصها واحدة واحدة قبل وضعها تحت الدجاجة، أو بلغة النساء " تَنْقُد البيض"، حيث تمسك كل بيضة منها وترفعها بيدها وتنظر إليها

ناحية الشمس، فإذا رأت فيها بقعة صغيرة "لُطْعَة" فهي تكون ملقحة وصالحة للتفريخ، أما إذا لم تكن فيها تلك اللطعة فلا تضعها تحت دجاجتها، لأن الدجاج يمكن أن يبيض دون أن يكون لديه ديك، فتكون تلك البيوض خالية من اللقاح ولا تصلح للتفريخ.

الراقوبة:

هي البيضة التي تتركها المرأة في القُنّ أو الخُصّ حتى تراها بقية الدجاجات فترقد عليها وتبيض، وإذا لم تكن هناك راقوبة، فإنّ الدجاجات تبيض في أماكن أخرى، فبعضها يبيض في كومة قش قريبة، أو في خصّ الجيران، وإذا حدث ذلك فإن المرأة تغضب كثيراً وربما تربط تلك الدجاجة التي تبيض عند الجيران لتلقنها درساً، وحتى تعرف أنه لا يسمح لها أن تبيض في المكان الذي يحلو لها، وعليها أن تبقى مخلصة لصاحبتها وللخُصّ الذي ربّاها.

الدجاجة السوداء:

بعد أن تكتسي الصيصان بريش "الحلال" ويظهر لونها الطبيعي، تنظر المرأة إليها فإذا كان أحدها أسود اللون تدرك المرأة بأن هذا الصوص سيكون دواءً في المستقبل، وما أن يصل عمر ذلك الصوص شهرين أو أكثر

ويصبح دجاجة صغيرة، حتى يُذكر خبرها في أوساط النساء، فإذا كانت إحداهن "مَخْرُوعَة"، فيكون في هذه الدجاجة الدواء الشافي.

والخريعة هي صدمة من خوفٍ مفاجيء، وتسمى أيضاً "خَوْفة"، والمرأة التي تصاب بالخريعة تظهر عليها أعراض ذلك المرض، فتبدو ساهمة كاسفة ويصفّر وجهها، وتشكو من آلام في سائر جسمها، وعندما تذهب لإحدى "الفَتَّاشَات" تخبرها بأنها مخروعة، وهي بحاجة إلى دجاجة سوداء حتى تشفى من مرضها.. فتجلس المرأة ويوضع على رأسها صحن وتذبح الدجاجة فيه، ثم تُطبخ وتأكل منها المرأة لوحدها ولا تدعو أحداً ليأكل معها، أما الريش وما يتبقى من الدجاجة بعد التنظيف فيدفن على مفترق الطرق ليدوس عليه الناس في ذهابهم وإيابهم، وبعد هذا العلاج تستردّ المرأة عافيتها تدريجياً، ثم لا تلبث أن تعود إلى مزاولة أعمالها الطبيعية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدجاجة السوداء تستعمل علاجاً للمرأة التي تصاب بالخريعة في ساعات الليل أو المساء، ولون الدجاجة الأسود يدلّ على الليل، أما إذا أصيبت بالخريعة في النهار فإن العلاج يكون عبارة عن دجاجة بيضاء ناصعة البياض، ولونها الأبيض يدل على حدوث الخريعة في ساعات النهار.

أعداء الصيصان:

الصقر:

هو من ألدّ أعداء الدجاجة وفراخها، وتخشاه المرأة وتراقب دجاجتها الراقد خوفاً منه، فهو يدور في الفضاء وينقضّ ليخطف صوصاً صغيراً ويحلّق به عالياً حيث يأكله، ثم يعود عدة مرات في اليوم مما يجعله مصدر خطر حقيقي على صغار الدجاجة. وهذا النوع من الصقور صغير الحجم ويسمى عند البدو "صقير أبو الفار"، أي الصقر الذي يأكل الفئران، لأنه لا يستطيع مهاجمة الدجاجة الكبيرة ولا يستطيع حملها والطيران بها، وكثيراً ما تهاجمه الدجاجة الأم، وتنقضّ عليه، وأذكر أن دجاجة أمي هاجمته مرة عندما انقض على صيصانها وكسرت جناحه وقتلته شرّ قتلة، ولكنها أصيبت بالهستيريا بعد ذلك.

أما الصقر الذي يهاجم الدجاج البالغ فهو "الباشق"، ولكنه قليل الوجود لذلك فهو لا يهاجم الدجاج إلا فيما ندر.

القنفذ:

هو أيضاً من الأعداء الذين يهاجمون فراخ الدجاجة، فهو يدخل القنّ في ساعات الليل، ويقتل بعض الفراخ الصغيرة، ولكن خطره قليل إذا قيس بالصقر المذكور.

الجرذ:

الجرذ الكبير أشد خطراً من القنفذ، فهو يهاجم في كل يوم، ويصعب على المرأة حفظ صيصانها منه، وكثيراً ما يقضي على كلّ الفراخ الصغيرة، وقد يهاجم الدجاج الصغير ويأكل أرجلها فتظل تنزف حتى تموت. وقد انتشرت موجة هائلة من هذه الفئران في أواخر سنوات الستين، فقلبت حياة الناس جحيماً لا يطاق، وحاربوها بكلّ الوسائل، حتى أصبحت الآن قليلة الوجود وكادت تختفي. ويطلق العامة على الواحدة من هذه الفئران "عَرْسة"، وكذلك "جربوع".

الثعلب:

لا يهاجم الثعلب الفراخ الصغيرة، ولكنه يهجم في ساعات الليل على قُنّ الدجاج فإذا تمكن من فتحه فهو يعيث فيه فساداً كبيراً، ويقتل ويخنق كل ما تصل إليه يده من الدجاج، وقد يقضي على كل الدجاجات الموجودة في القنّ، وهو يستعمل مكره وخداعه في الوصول إلى الدجاجات وقتلها، لذلك فهو شديد الخطر ويجب الاحتراس منه، وكثيراً ما تربط المرأة كلباً بالقرب من خُصّ دجاجاتها حتى يطرد الثعلب بنباحه إذا ما حاول الاقتراب منها.

هذا بالنسبة للدجاج أما نشاطات المرأة الأخرى ففي الفصول القادمة.



الفصل الثاني عشر

اجتماعيات ونشاطات المرأة البدوية

من الطبيعي أن المرأة البدوية ليست معزولة عن العالم، وليست معزولة عن الحياة الاجتماعية بكل أنواعها، بل هي جزء لا يتجزأ من تلك الحياة، تشارك فيها في السراء وفي الضراء، وفي المناسبات المختلفة، وهي تكاد لا تترك أمراً اجتماعياً للمرأة دور فيه، إلا وتشارك فيه، ويكون لها دورها البارز والهامّ في معظم هذه الأمور، وهي بحقّ النصف الآخر الذي بدونه تفقد الحياة معناها، ويصدق المثل الشعبي الذي يقول: "النسوان أمهات الرجال[٦٧]"، والأدوار الاجتماعية التي تشارك بها المرأة البدوية كثيرة ومتعددة، ومن أهمها:

عيادة المرضى:

تقوم المرأة بعيادة المرضى من أهلها وأقاربها وصديقاتها، وهذا واجب عليها لا تتخلّى عنه، وقد تكون ملزمة في بعض الأحيان بعمل هذا الواجب كنوع من الدَّين في مثل هذه المجاملات، خاصة إذا كانت بعض النسوة قد عُدْنها من قبل في مرضها أو في مرض أحد أفراد عائلتها.

---

(٦٧) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

زيارة من تلد من صديقاتها:

وهي تقوم كذلك بزيارة من تلد من نساء أقاربها أو أهلها، أو جيرانها إذا كان بينها وبينهم شيء من المجاملة، وتأخذ معها عادةً " غداء" وهو عبارة عن نقوط معين، غالباً ما يكون ديكين من الدجاج أو ثلاثة، خاصة وأن النفساء بحاجة إلى تناول بعض اللحوم والثريد المفتوت بشوربة الدجاج لكي تستعيد بعض عافيتها بعد الولادة، وفي بعض الأحيان تأخذ لها تلك الديوك مطبوخة وساخنة، حتى تريحها من عملية الطبخ التي تحتاج لشيء من الوقت، وهي تساعدها أحياناً في طبخ وإعداد "المختوم" الذي يُعَدُّ من العجوة والمربَّى وزيت الزيتون.

مناسبات الختان:

وكذلك الحال بالنسبة لحالات الختان (الطهور) لأبناء الأهل أو الأقارب والجيران فهي لا تتأخر عن تأدية الواجب وتهنئة أم الأولاد الذين اختتنوا وتشاركها بفرحتها هذه، وغالباً ما تأخذ معها بعض الأشياء لأنها تخجل أن تذهب ويدها فارغة لأن: "الإيد الفاضية نجسة[٦٨]".

(٦٨) – من الأمثال البدوية، ص ٦٢.

المشاركة في الأعراس:

وهي تشارك في حفلات الغناء في الأعراس، حيث تجلس النساء في ساعات المساء في بيت أهل العريس أو العروس في مجموعات، كلّ مجموعة تتكوّن من ٤ أو ٥ نسوة، ويغنين من أغاني ذلك الوقت أو "يُقَطِّرْن "، والتقطّر: هو نوع من الغناء القديم، وقد اختفى تماماً الآن ولم يعد هناك من يسمع به بعد موجة الأغاني الحديثة الأكثر صخباً. وهي ترقص أيضاً إن دُعيت إلى ذلك أو ربما تبادر هي إلى الرقص مع باقي النسوة، وقد تسحب إحدى النساء من يدها لترقص معها، فتنطلق الزغاريد معلنة عن تلك الفرحة، وقد تفخر إحداهن بزغاريدها إذا كان صوتها عالياً وله رنّة مميزة.

المساعدة في العجن والخَبْز:

وهي تساعد في العجن والخَبْز مع جاراتها أو قريباتها، حيث تعجن صحناً كبيراً وتخبزه على الصاج وتبعثه جاهزاً إلى صاحبة العرس التي لا تستطيع أن تعجن وتخبز تلك الكمية الكبيرة التي يحتاجها العرس من الخبز، حيث يحتاج العرس من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ رغيف من خبز الصاج لعمل المناسف أو أكثر من ذلك حسب عدد الحضور، ولا تستطيع بطبيعة الحال امرأة واحدة أن تخبز هذه الكمية الهائلة بمفردها، فتقوم صاحبة

العرس بتوزيع صحون الطحين على جاراتها وقريباتها حيث يقمن بعجنه وخبزه وإرساله جاهزاً إلى صاحبة العرس.

المشاركة في المآتم:

وتشارك المرأة في التعازي والمآتم، فإذا توفي أحد الناس من الأقارب أو أحد الذين تربط عائلتها بهم علاقات مجاملة، فهي تذهب مع بعض النسوة أو بمفردها، وقبل أن تصل البيت بقليل تعجّ الصوت بصرخة مدوية وقد تمزق جيب ثوبها، وفي صرختها تلك دليل على قدومها حتى تنتبه النساء لوجودها وأنها حضرت ولم تتأخر عن المشاركة في التعزية والمواساة، وهناك تشارك في البكاء مع بقية النساء، أما إذا فقدت عزيزاً عليها قبل ذلك الوقت فتكون الفرصة ملائمة لصراخها عليه، أما إذا جلست ولم تشارك في البكاء فهي شامتة، "تستنّى عليهم الساعة" لذلك فهي مضطرة للمشاركة في البكاء والعويل أو النواح في بعض الحالات.

العونة:

وهي تساعد في الحصاد في أيام الصيف في "يوم عونة" خاصةً في نهاية الموسم، فإذا تأخرت بعض العائلات في حصادها تهبُّ عائلات أخرى من أقاربهم لمساعدتهم في حصد ما تبقى لديهم من الزرع حتى يكون الجميع قد أنهوا ذلك الموسم بسلام وتكون الفرحة عامة للجميع.

المساعدة في الغزل والنسيج:

وهي تساعد أيضاً في غزل الشَّعْر والصوف، وتساعد في "مدّ الشُّقَّة" أو "المعند" أو البساط، وتنسج مع جارتها أو قريبتها يوماً كاملاً، وقد يصل طول ما تنسجه في ذلك اليوم إلى ذراعٍ ونصف الذراع أو ذراعين، وبذلك تكون قد أعانت صديقتها وأراحتها يوماً كاملاً، خاصة وأن عملية النسج هذه مرهقة ومتعبة وتستغرق أسبوعين أو أكثر. وطبيعي أن تعمل لها صاحبة البيت غداءً دسماً مكوناً من لحم الدجاج البلدي والفَتّة الشعبية المعروفة.

المساعدة في عمل السمن أو اللبن:

وربما ساعدت جارتها أو قريبتها في تحضير "العفيق" وهو كرات اللبن الجامد، أو في غلي الزبدة لتعمل منها السمن البلدي المعروف، أو غير ذلك من الأمور المنزلية المختلفة.

ورود الماء:

وهناك نشاط اجتماعي آخر تشارك به المرأة البدوية، وهو ورود الماء إما على الغدير، أو على البئر "الهَرَابَة"، وكانت النساء يلتقين في مجموعات على "الهَرَابَة" أو الغدير حيث يملأن الجرار ويتحدثن في أمور الساعة.

وهناك مثل عامي يقول: "العِلْم بيجيبنّه الوَرّادات[٦٩]". والعِلْم هنا بمعنى الخبر، أي أن الأخبار تتناقل وتنتشر عن طريق واردات الماء اللاتي يلتقين على البئر أو الغدير وبذلك يشكّلن وكالة أنباء فريدة من نوعها. وقد يكون من بين هذه الأخبار نقل مواصفات فتاة ما، ومقدار ما تتحلّى به من الجمال والأخلاق، إضافة إلى طيبة الأهل وعراقة الأصل، مما يجعل الخاطبين يتسابقون على طلب يدها من أهلها، ولا يمضي وقت طويل حتى تتزوج، وقد تعمد بعض النساء إلى أخذ ابنتها معها حيث تراها بقية النسوة وينقلن مواصفاتها لأزواجهن أو أهلهن وبذلك يُفتح أمامها باب الزواج على مصراعيه.

التخبيز:

التخبيز: هو ذهاب مجموعة من النسوة لقطف أوراق نبتة الخبيزة في أوائل فصل الربيع، والخبيزة من الأطعمة المفضلة عند المرأة البدوية، وهي لا تستطيع مقاومة إغرائها، فتلاحقها وتقطف أوراقها من قرب البيت أو من الأماكن القريبة الأخرى، وإذا كان مكانها بعيداً بعض الشيء تخرج مجموعة من النسوة للتخبيز، حيث تملأ كل واحدة منهن منديلها وتعقده وتحمله على رأسها وتعود لتعمل منه ما تحبه نفسها وتشتهيه وهي تلك

(٦٩) – من الأمثال البدوية، ص ١٤٨.

الطبخة الخضراء اللذيذة. ولا يفوتنا أن نذكر أن في لقاء النسوة ما يشابه لقائهن عند ورود الماء من نقل الأخبار والمواصفات وأخبار الزواج وغيرها.

الحديث عند الجارات:

وقد تملّ المرأة أحياناً من مكوثها طيلة الوقت في بيتها، فتخرج لـ"تتخرّف" أي تتحدث عند بعض جاراتها حيث تقضي لديها عدة ساعات، ثم تعود لبيتها أكثر نشاطاً وتعاود مزاولة أعمالها المنزلية، ولكن الإفراط في هذه العادة أمر غير مستحبّ، وإذا أكثرت المرأة من ترك بيتها وزيارتها للبيوت، يقال عنها "ذوّاحة"، أي كثيرة التنقل بين البيوت، يقال: ذاحت فلانة على البيت الفلاني، والذَّوْح في اللغة يعني السير الشديد، وكأنها لا تفتأ تمر مرّاً سريعاً من بيتٍ لآخر، ويقال عنها أيضاً: "بيتها ما بيمسكها"، وكذلك "مشت تتطقّل عند الجيران، وتتطقّل مثل تتسكّع أو تتطفّل بزياراتها المتكررة المملة.

وهناك بعض النسوة يذهبن لنقل الأخبار فلا تكاد المرأة تسمع بخبر ما حتى تذهب لجاراتها لتبثّه هناك، وسرعان ما ينتشر خبره في كلّ مكان. وعن المرأة التي تنقل الأخبار يقال: "نقّالة قَالَة" من القيل والقال، وإذا سمعت خبراً "تَحُطّه في الجُرْبَان وتَحُوم فيه كُلّ العُرْبَان".

أما المرأة كثيرة "القالة" فلا يعتمد كلامها، وإذا انتشر خبر يسألون عن مصدره، فإذا قالوا مصدره من فلانة، فيقولون عندها: " اتركوه ولا ينقله أحد" لأنها ليست ثقة وأخبارها غير معتمدة، ولا تتمتع بنسبة كافية من الدقة والصدق.

وتجدر الإشارة إلى أن عمر المرأة له تأثير كبير على نشاطاتها الاجتماعية، فعندما تكون عروساً حديثة عهد بالزواج، أو عندما تكون في بداية شبابها، لا يسمح لها الزوج أو الأهل بزيارة الجيران أو حتى الأقارب، لأن الرجل يغار على امرأته وعلى عِرضه بشكل عام، ويرى في بقائها في منزلها نوع من المحافظة على هذا العِرض، ويجدر بالمرأة وهي في مثل هذه السن أن تصون نفسها وأن يكون بيتها هو مقرّها الذي لا تبرحه إلا للضرورات، وهي بذلك تكسب ثقة الزوج والأهل وتكون قريبة من أطفالها تربيهم وترعاهم وتحافظ عليهم بشكل دائم.

وعندما تكبر المرأة وتتخطّى مرحلة الشباب، يُنظر إليها كامرأة كبيرة، وكأمّ لها مكانتها الاجتماعية، ولا يمكنها التأخّر والحالة هذه عن تأدية الواجب والمشاركة في معظم المناسبات المذكورة .

ويرى بعض الباحثين أن علاقات المرأة الاجتماعية تشبه دائرة، تكون صغيرة وضيقة في بداية الأمر، لأن الفتاة لا تشارك في معظم الفعاليات

الاجتماعية التي ذكرنا، ثم لا تلبث هذه الدائرة أن تكبر وتتسع بعد زواج المرأة ومشاركتها في الفعاليات المذكورة، ثم تعود تلك الدائرة لتضيق تدريجياً عندما تتقدم المرأة في العمر وتكفّ عن المشاركة في بعض المناسبات كالأعراس والختان لأنه لم يعد لديها أولاد صغار تنتظر ختانهم أو زواجهم، ولا تشارك في زيارة من تلد من النساء لأنها لم تعد تحمل وتلد، وهكذا..







الفصل الثالث عشر

الحياة الزوجية بين المدّ والجزر

لا تخلو حياة الناس من الهموم والمشاكل، ولا تكون أيامهم جميعها سمناً على عسل، بل هناك الكثير من المشاكل التي يصادفها الناس في حياتهم اليومية، وتواجهها العائلات في المراحل الأولى من حياتهم الزوجية. وقد تكون المشاكل الخفيفة أحياناً من الأمور الإيجابية في حياة الأسرة، فهي تنقِّي الأجواء وتنظّف القلوب مما علق بها من شوائب الشكوك والأوهام، ولذلك فوجودها يُعَدّ من الأمور الطبيعية في الحياة الزوجية، وفي حياة الأسرة بشكلٍ عامّ، إذا كانت القلوب كبيرة والنفوس صافية نقيّة، وتعتبر مثل هذه المشاكل من الأمور الاعتياديّة في الحياة العائلية. والمشاكل التي تواجه المرأة في رحلة حياتها تقسم إلى عدة أقسام منها:

أ – مشاكل يسببها الزوج:

وهي المشاكل التي تنتج عن بعض تصرفات الزوج الخاطئة، المتعمدة منها، والتي عن غير قصد، فتعصف بالحياة الزوجية وتكاد تقتلع

جذورها، وقد يكون سببها جهل الزوج أو طيشه، أو عناده في بعض الأحيان.

وعادةً ما تحدث في بداية كلّ حياة زوجية بعض المشاكل والتي تنتج عن عدم معرفة الزوجين بأخلاق بعضهما البعض، ثم لا تلبث هذه المشاكل أن تختفي بعد أن يتعوّد كلّ طرف منهما على الآخر، فتتآلف القلوب وتسود المحبة والتفاهم وتسير الحياة على وتيرتها الصحيحة.

ضعف شخصية الزوج:

وقد يكون بعض الأزواج ضعيف الشخصية، أو لا شخصية له على الإطلاق، فيسمع كلّ وشاية إن كانت من أهله أو من غيرهم ويتحرّش بزوجته ويقع بينهما شجار وسوء تفاهم، ويقولون عن هذا الزوج: "كلمة بتودِّيه وكلمة بتجيبه"، أي أنه ليس له رأي مستقل كما ذكرنا.

وقد تحرد المرأة مرات ومرات ولكنها بعد أن تدرك شخصية زوجها وتعرف بأنه لا يستطيع توجيه نفسه فكيف يوجه الآخرين، فتأخذ عندها بزمام الأمور وتدير شؤون بيتها و"تُصَنِّم" زوجها، أي أنها توجهه برأيها وتهتم بملبسه وشكله حتى يظهر كبقية الرجال، وكلمة "صَنَّمَتْ تُصَنِّم" مأخوذة من كلمة صَنَم ؛ وهي تعني تحسين وضع الشخص،

وتصحيح مساره العقلي ليساير الوضع القائم في المجتمع، حتى لا يكون كالصنم جامداً وخاملاً.

وهم يذكرون الصنم في مَثَلٍ آخر حيث يقولون: "فلانة صَنَم بلا أَفَم"؛ أي أنها هادئة وادعة لا يكاد يُسمع صوتُها لفرط أدبها وحيائها.

أما إذا لم تكن المرأة على قدرٍ من العقل والذكاء فإنّ حياتها تظلّ تتأرجح بين وشاية وأخرى.

خمول الزوج وكسله:

وقد يكون الرجل كسولاً خاملاً لا يعمل ولا يخرج من البيت، ويظلّ يُسمع امرأته انتقادات مختلفة بين الحين والآخر، ويُعيّرها بما لا تحب أن تسمع، ويلذعها بكلمة من هنا وكلمة من هناك، لأنه ليس لديه ما يتحرّش به سواها، ويظلّ في وجهها طيلة الوقت، فتضيق ذرعاً به وبتصرفاته ولكنها تسكت على مضض لعلّ زوجها يعود لجادة الصواب في يوم من الأيام، وحتى إذا خرج هذا الزوج لقضاء بعض المصالح فإنه يوصي شخصاً من أهله ليراقب بيته، فتقول المرأة عندها: "إن غابت الخيل ما غاب، وإن غاب وصّى طنيبه[٧٠]". ومثل هذا الرجل تكون صفاته أقرب لصفات النساء منها لصفات الرجال، والمرأة بطبيعتها تحبّ الرجل

(٧٠) — من الأمثال البدوية، ص ٦٠.

الناجح الذي يعمل ويكدّ، والذي "إذا ما غاب جاب"، والذي يوفر لها أسباب الراحة والاستقرار والحياة الكريمة.

شكوك الزوج وغيرته:

وقد يكون الرجل كثير الشكوك شديد الغيرة على زوجته بشكل غير اعتيادي وغير منطقي، فهو يُضيّق عليها الخناق، ويعدّ عليها أنفاسها، ويحاسبها على كلّ صغيرة وكبيرة، وكأنها يجب ألاّ تخطيء، وهو يراقب تصرفاتها ويشكّ في كثير منها، ويريدها إذا تكلمت أن تهمس همساً حتى لا يسمع صوتها أحد، لأن صوت المرأة عورة، ويجب أن يبقى قناعها على رأسها حتى وهي في بيتها، لأنه من العيب أن تسير في بيتها دون قناع.

أما إذا ذهبت لتزور أهلها فإنه يسألها عندما تعود: من رأيتِ عندهم؟، ومن جاءهم أثناء حضورك هناك؟، وماذا قالوا عني، وكلها أسئلة سخيفة تافهة لا معنى لها.

أما إذا غاب هو عن البيت فإنه يسألها بعد عودته: من جاء اليوم إلى بيتنا، ولماذا جاء وما الذي يريده.. ومثل هذه الأسئلة التي تُنغّص عليها عيشها، وهي أسئلة مملة ولكنها للأسف كثيرة الحدوث في مجتمعنا.

عقلية الرجل ورجعيته:

أما إذا لم تحمل المرأة، أو إذا تأخر حملها لبعض الوقت فإنّ اللـوم يقـع عليها، لأنـها هي المسؤولة عن عدم الإنجاب، وإذا سأل أحد من أهل المـرأة ذلك الزوج هل فحص نفسه ؟ فإنه تثور ثائرته ويشعر بأنه طُعن في صميم كرامته، وكان من الأجدر بأهل الزوجة أن يعـالجوا ابنـتهم لأن "العَـوْق" منها هي، وليس منه هو، فالنساء "سبب لكل عِلّة" وزوجتـه واحـدة مـن هذه العلل، والرجل كالنبع يظل ينجب حتى وهو في سنّ الشيخوخة، أمـا المرأة فإنهـا كالدجاجـة تبـيض بيوضـاً معـدودة ثـم تنتهـي قـدرتها علـى الإنجاب.

زواج الرجل من امرأة أخرى:

أما المشكلة التي تُعـدّ مـن قاصمات الظهـر بالنسبة للمـرأة فهـي زواج زوجها عليها، وجلبه ضرةً لها، فإذا تزوج الرجل امـرأة أخـرى تتحـول حياة الأولى إلى جحيم لا يطـاق، وتفقـد بـذلك تلـك المنزلـة الرفيعـة الـتي كانت تتبوأها في المنزل كآمرةٍ ناهية لها الكلمة العليـا في البيـت، وتصبح وليس من يهتم بها أو يلتفت إليها.

وقد يهجرها زوجها ويميل إلى المرأة الجديدة الأكثر شباباً وحيوية، فتصاب حينها بالإحباط، وتنطوي على نفسها، ويقلّ نشاطها وتفقد قابليتها، وتذوي كالزهرة الذابلة.

وقد تشتد ضراوة المشكلة إذا استولت الزوجة الجديدة على مقاليد الأمور، فترى فيها الزوجة الأولى غازيةً تستولي على بيتها وعلى زوجها، لأن الضرة جاءت من الضرر واسمها يدلّ عليها.

وغالباً ما ترضى المرأة بالأمر الواقع وتعزّي نفسها بقولها: "المَرَهْ ما بتاكل المَرَهْ[٧١]"، ولكن ذلك من باب التعزية، فليس الأمر في يدها وهي لا تملك له منعاً ولا صرفا.

ومهما كانت أخلاق الضُّرَّة وصفاتها فهي في نظر المرأة الأولى ضُرَّة بكل ما في الكلمة من معنى، وينطبق عليها المثل الشعبي الذي يقول: "الضُّرَّة ضُرَّة ولو كانت قُعْمُرّة جَرَّة[٧٢]".

وحتى أولاد الضرة فهي لا تطيقهم وترى فيهم أبناء المرأة التي أخذت زوجها منها وسلبتها سعادتها وهدوء بالها وتقول: "اقعد على الضُّر ولا تقعد على شروشه[٧٣]".

(٧١) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

(٧٢) – من الأمثال البدوية، ص ١٣٧.

(٧٣) – المصدر السابق، ص ٤٣.

وقد تُوهِم المرأةُ بعض الجيران أو الناس بأنها أصبحت مع رفيقتها كالأخوات، ولكن هذا ما هو إلا ضرب من التمثيل، فهي لا يمكن أن ترضى عنها مهما كانت الظروف وترى فيها الوباء الذي أحال حياتها جحيماً لا يطاق.

ولكن بمرور الأيام تتعود النسوة على الحياة المشتركة، إذا كان الزوج عادلاً يعدل بينهما بالحقّ، وترضى كلّ واحدة منهما بقسمتها ونصيبها في هذه الحياة.

وقد يلجأ الرجل للزواج من امرأة أخرى لعدة أسباب من أهمها:

إذا لم تحمل امرأته كما ذكرنا لا يستطيع أن يصبر، لأنه يريد أن يرى له ابناً يحمل اسمه حتى لا يكون "مقطوع الذرية"، وحتى لا يرثه إخوانه وأبناؤهم، وكأن المرأة لا تتمنى أن تكون أمّاً، وهي تريد ذلك أكثر مما يريده هو.

وقد يلجأ الرجل للزواج لأن وضعه الماديّ حسن، وصحته جيدة والدين يسمح له بأكثر من زوجة، وهو يريد أن تكون له قافلة من الأبناء والأحفاد، والأولاد رزقهم على الله سبحانه، ولا ضير من الإكثار منهم.

وهم كذلك يكونون له في المستقبل سياجاً من كلّ طاريء فلا يستطيع أحد أن يعتدي عليه لأنه مسنود الظهر بما له من الأولاد والنسل.

وقد يلجأ الرجل للزواج لأن امرأته مريضة ولا تستطيع تلبية احتياجاته، وقد تشير بعضهن على زوجها بأن يتزوج لأنها تشعر بأنها لم تعد قادرة على تلبية كل ما يحتاجه زوجها في حياته اليومية، وهناك حكاية تقول:

إنَّ رجلاً تخطى سنّ الكهولة وقد أصيبت زوجته بمرض أقعدها ولم تعد تستطيع المشي ولا خدمة زوجها أو خدمة نفسها، وبعد مدة اقترحت عليه أن يتزوج فرفض، ولكنها أَلَحَّتْ عليه فخطب فتاة وبنى لها خيمة قرب بيته وتزوجها، وفي صبيحة اليوم التالي للعرس سمع خَبْطاً بجانب الخيمة فخرج ليكشف الأمر فوجد زوجته المريضة تزحف وتضرب الأرض بعكازتها، فقال لها: ما الذي أتى بك يا أم فلان، فقالت له: طلقني، فقال لها كيف أطلقك وأنت أم أولادي وأنت التي أشرت عليّ بالزواج، فأقسمت بأنها لن تبرح مكانها إلا بعد أن يطلقها، وعندما أعيته الحيلة طلقها فعادت لتعيش بقية عمرها مقعدةً عند أهلها.

ب- مشاكل تسببها الزوجة:

يرى الرجل أنَّ المرأة مخلوق ناعم هاديء وادع، وأنّ هذا المخلوق جاء ليُرَفِّهَ عنه، ويخفِّفَ عنه تعبه وإرهاقه، ويستدلّ بأن حواء خُلقت من ضلع آدم القصيرة لتخدمه وتكون عوناً له في حياته، وإذا لم تتحقّق تلك

الشروط في بعض الزوجات فإنّ الرجل يرى ذلك خروجاً عن المألوف، فإذا لم تطع المرأة زوجها طاعة عمياء، أو إذا حاولت مناقشته والرد على بعض تجاوزاته، يرى أنها امرأة رأسها غليظة وطبيعة المرأة أن تكون عكس ذلك أو أنها امرأة مسترجلة على أقل تقدير، وإذا كانت الخشونة من طبيعة الرجل وحاولت المرأة أن تكون خشنةً مثله فما الحاجة للزواج إذن؟.

ومن هنا تنبع بعض المشاكل، لكن بمرور الزمن يتعوّد الزوجان على بعضهما البعض ولا يرى أحد منهما غرابة أو شذوذاً في تصرفات الآخر.

تعكير صفو الزوج:

وتحرص بعض النساء أن تخبر زوجها بكل صغيرة وكبيرة تجري في البيت في فترة غيابه، ليس حباً منها بإطلاعه على مستجدات الأمور، ولكن لأنها لا تستطيع أن تصبر دون أن تفشي ذلك الخبر الذي يجيش على صدرها كالنار الحامية، وتريد أن تزيح حمله عن صدرها بإفشائها له، فما إن يصل الرجل بيته بعد عناء يوم طويل من العمل والإرهاق إلا وتُفرغ عليه وِطَابَ أخبارها، وربما تبالغ في بعضها فتعكّر عليه صفوه وهو أحوج ما يكون إلى الهدوء والراحة، وكان من الأجدر بها أن تستقبله بوجهٍ بشوش وبعد أن يستريح ويتناول طعامه وشرابه تخبره إن كان

هناك حدث يستحق الإخبار عنه، بشيء من اللباقة واللطف دون أن تهيّج أعصابه المهترئة من قبل ذلك.

جارات السوء:

وكما أن بعض الرجال يكون ضعيف الشخصية فكذلك الحال بالنسبة للنساء، فقد تكون بعضهن ضعيفة الشخصية، لا تُحلّل ما تسمع، فتأخذ ما ينفعها منه وتترك ما سوى ذلك، فإذا سمعت شيئاً من جارات السوء تحاول تقليده أو تطبيقه في بيتها فتحدث المشاكل بسبب ذلك، وتعرّض نفسها لسخط زوجها عليها وعدم رضاه عنها، وهذه الظاهرة كثيرة الوجود في مجتمعنا، والمرأة اللبيبة هي التي توازن بين الغثّ والسمين، ولا تسمع بعض الآراء التي يقصد من ورائها ضررها وخراب بيتها.

إفشاء سر العائلة:

لكلّ عائلة خصوصياتها، وأمورها التي لا تُحبّ أن يطّلعَ عليها أحدٌ سواها، وقد تكون بعض الزوجات من النوع الذي لا يُؤتمن على سرّ، فما إن تسمع خبراً عند أهل زوجها إلا وتفشيه في اليوم التالي لأهلها، فتفقد عندها ثقة عائلتها بها، ولا يتحدثون أمامها بأي شيء من هذا القبيل،

وإذا كانوا يتحدثون في أمر ما فإنهم يغيرونه إلى حديث آخر إذا ما دخلت عليهم فلا تفهم شيئاً مما يدور بينهم.

تبذير أموال الزوج:

وقد تعمد بعض النساء إلى تبذير أموال زوجها خشية أن يتزوج عليها، فتأتيه كلّ يوم بمشروع جديد، وتقترح عليه كلّ يوم اقتراحاً، حتى تثقل كاهله وتُحمّله فوق طاقته، وإن أرخى أذنه وسمع منها يجد نفسه وقد وصل إلى حضيض الفقر والحاجة. وبعدها إذا تذمّر من الفقر تقول له: أتريدني أن ألبس بنطالاً كالرجال وأخرج للعمل ؟ فيصحو بعضهم ولكن بعد فوات الأوان.

المرأة الطامحة:

وقد يتزوج الرجل من امرأة لا تريده ولا ترغب في الزواج منه، لأنها ربما تكون قد أُرغمت على هذا الزواج إرغاماً، فتبدأ تختلق المشاكل بسبب وبدون سبب حتى يملّ منها زوجها ويطلقها، وهي تحزم أمتعتها وتعود لأهلها لأتفه الأسباب، وتمكث عندهم فترة من الزمن يذهب خلالها زوجها ويراضيها فتعود معه لتعاود الكَرّةَ من جديد، وعندها يفهم زوجها بأنها امرأة طامح، وهي تتطمّح عنه، أي أنها تتهرَّب منه

وتحاول التخلّص منه لتتزوج رجلاً غيره، فيطلقها غير آسف عليها.. وكثيراً ما تخسر مثل هذه المرأة الزوج الذي بين يديها، وتخسر الشخص الذي تطمح للزواج منه، على اعتبار أن المرأة التي لا خير فيها لزوجها الأوّل لا يكون فيها خير للزوج التالي.. وهكذا تعيش بقية عمرها وهي تعضّ على أصابع الندم.

جـ - مشاكل يسببها أهل الزوج:

أما المشاكل التي يسببها أهل الزوج فإنّ أكثرها يكون من نصيب والدة الزوج التي تقف لتلك المرأة الجديدة بالمرصاد، لأنها تشعر بأنها مسؤولة عنها وهي تريد أن تطبق هذه المسؤولية بشتى الوسائل، فتراقب حركات تلك الزوجة اليافعة وتعدّ عليها أنفاسها، فإذا لبست لا يُعجب الأم لبسها، لأنها تراه ضيقاً أو قصيراً أو شفافاً، وإذا تكلمت فلسانها طويل ويجب أن تكون قليلة الكلام قليلة السؤال.. وإذا أكلت فهي لا تشبع، وهناك مثل يصور ما تطلبه أم الزوج من زوجة ابنها يقول: "صحيح لا تقسمي، ومكسور لا تاكلي، وكلي حتى تشبعي[(٧٤)]".

وكثيراً ما تدخل الأم بيت ابنها وتنظر يمنة ويسرة فلا ترى شيئاً يعجبها، فتنصح زوجة ابنها أن تزيل بيت العنكبوت من تلك الزاوية،

(٧٤) – موسوعة الأمثال الشعبية في النقب.

وترفـع ذلـك اللحـاف وتضـع الوسـائد تحتـه، وإذا مـا أبـدت العـروس اعتراضها، أو إذا ما سخرت مـن هـذه الأم الطاغيـة، ولم تُنفّـذ شـيئاً مـن أوامرها، تنتظر الأم عودة ابنها، وتحدثه عن تلك البنت العنيدة، وربما تنزلق دموع قليلة تتدحرج على خدّ الأم لتثير عطف الابن الذي غالبـاً مـا يعرف بأنها أشبه ما تكـون بـدموع التماسـيح، فيراضـي والدتـه ويعـدها خيراً، وبأنه سيفحص الموضوع وسيعمل على رضاها.

وقد تتغير سياسة الأمّ وتتغير نظرتها إلى كِنَّتِها، فعندما يتـزوج ابنهـا الأول تكون زوجته هي الغالية، ولكـن بمجـرد أن يتـزوّج ابـنٌ آخـر لهـا وتدخل امرأته إلى البيت، تقف الأم ضد الكنّة الأولى وتناصر التاليـة، ولا تعود تستشيرها أو تنتبه لوجودها، وتبقـى الكنـة الجديـدة هـي الغاليـة حتى تأتي أخرى وهكذا.. ولكن الأب الحازم يُوقف هـذه الأمّ عنـد حـدّها ويأمرها بعدم التدخّل ويضع حدّاً لتصرفاتها وتقلباتها التي تشبه تقلبـات الطقس.

د – مشاكل يسببها أهل الزوجة:

أما المشاكل التي تندرج تحت باب أهل الزوجـة فهـي لا تقـلّ عـن تلـك التي تحدث نتيجة التدخل الزائد في خصوصيات الأسرة الجديدة، وغالبـاً ما تلعب أم الزوجـة الـدور الرئيسـي في إذكـاء نـار هـذه المشـاكل وإشـعال

فتيلها، فما إن يمضي وقت قصير على زواج ابنتها إلا وهي تشير عليها أن تستقلّ بزوجها وتخرج به ليعيش منفصلاً عن أهله، وربما يكون الأهل في أمسّ الحاجة لمساعدة هذا الابن لهم، فتبدأ دسائس هذه الأم تحيك خيوطها حول هذه العائلة الوادعة السعيدة وإذا ما سمعت الزوجة كلام أمها فغالباً ما تتحوّل تلك السعادة إلى قلق وعدم استقرار. وربما بدأت هذه الأم بإرسال بعض المواد الغذائية لابنتها وكأنها تريد أن تشكّك بأن ابنتها جائعة ولا تحصل على ما تريده من طعام عند عائلتها، وكذلك الحال بالنسبة للباس.

وتبعث الأم ابنتها الصغيرة لتستدعي أختها وتظل تزنّ على رأسها حتى إذا ما شعر الزوج بخطورة الوضع فإنه يخيّر زوجته بين البقاء في بيته أو البقاء في بيت أهلها، وربما تجد المرأة متنفساً بذلك وتكفّ لبعض الوقت عن زيارة أمها بدعوى أن زوجها لا يريد ذلك ويهددها بتركها أو الزواج عليها إذا ما تمادت في تصرفاتها وأكثرت من زياراتها.

وفي النهاية نودّ أن نقول بأن ما طرحناه هنا هو نموذج لبعض المشاكل التي تحدث في مجتمعنا وخاصة للأُسَر الجديدة منها، وهي ليست مقياساً ينطبق على جميع العائلات، بل هناك الأسر السعيدة والأمهات المثاليات اللاتي يوفرن أسباب الراحة لأبنائهن وزوجاتهم، كذلك نود أن نشير إلى

أن الوعي الديني له دور كبير في تنشـئة النفـوس علـى الأخـلاق الحميـدة وعلى فعل الخير والابتعاد عن المعاصي، فيسود التراحم بين الناس، وتعمّ المحبة والوفـاق، وأتمنـى لكـلّ العـائلات في مجتمعنـا أن تعـيش في رغـدٍ وهدوء بال، وأن يبعد الله عنها ما يـنغّص عيشـها، إن الله علـى كـلّ شـيء قدير.

❑❑❑





الفصل الرابع عشر

دور المرأة في الحياة الاقتصادية:

ساهمت المرأة البدوية في الحياة الاقتصادية وفي توفير المال، وتحسين ظروف العائلة المادية، وكانت بجدها واجتهادها وعملها المخلص الدؤوب، تساهم مساهمة فعالة في توفير لقمة العيش إلى جانب زوجها من أجل حياةٍ كريمة، تُبعد عنهم شبح الفاقة والعوز، في ظل ظروف الصحراء المجدبة القاحلة، وفُرَصِها القليلة وإمكانياتها المحدودة، فبرز دور المرأة وتجلّت مواهبها وقدراتها التي ترجمتها إلى أدوات للعمل والكسب في أمور مختلفة ونواحي متعددة نذكر منها ما يلي:

المنسوجات:

بَرَعت المرأةُ في مجال المنسوجات على أنواعها، وتفنَّنت في كثيرٍ منها، وأضفت عليها لمساتٍ جماليةً من ذوقها السليم تُمثِّل هدوء الصحراء وصمتها، فكان من منسوجاتها ما هو باللونين الأبيض والأسود، حيث جاء اللون الأبيض من لون صوف الماشية، والأسود من لون شَعْر الماعز، وفي هذين اللونين تناغم هاديء ترتاح له النفس، وتطمئن إليه الحواس ولا تنفر منه. إضافة إلى المنسوجات الصوفية الملونة التي اختارت ألوانها

بعناية فائقة ورتّبت خطوطها الطوليـة بدقّـة وبتناسـق جميـل، وحبكـت أطرافها حبكاً متيناً وأضافت إليها الهدَب والشراشيب التي زادتها جمالاً وروعة.

فكانت تلك الصناعة فناً من الفنـون الـتي امتـازت بهـا المـرأة البدويـة، واتخذتها فيما بعد مصدراً من مصادر رزقها، من الكسب الطيب الحلال، ونحن نتناول هنا هذه المنسوجات بشيء من الشرح والتفصيل:

البُسُط:

واحدها بِسَاط، وتُجمع علـى بُسُـط، ويجمعهـا العامـة علـى بِسَـاطات؛ وهـي فَـرْشٌ منسـوج مـن الخيـوط الصـوفيّة المتينـة المبرومـة بَرْمَـاً جيـداً والمنسوجة بدقة وعناية. ولصناعة هذه البُسُط تَغـزل المـرأةُ صـوف الأغنـام بعد غسله وتنظيفه ونَفْشِه وتهيئته للغزل، ثم تصبغ قسماً منـه، وتـترك قسماً آخر بلا صباغ، وتنسج منه بُسُطاً ملونة ذات خطوط طوليـة جذابـة، وألوان زاهية جميلة، تضيف هَدَباً إلى طرفيها الرفيعين.

وهذه البُسُط تستعمل فراشاً للضيوف من وجهاء القوم وكبـارهم، وغالبـاً ما يُفرش تحتها بُسُطاً غير ملونة حتى تظلّ نظيفة نقية.

وتعمل المرأة عدداً من هذه البُسُط وتبيعها في السوق، وقد يشتهر اسمها ويُعْجِب الناس إنتاجها فتأتيها دعوات لعمل مثل هذه البُسُط فيصبح ذلك العمل مصدراً من مصادر رزقها.

أما البُسُط غير الملونة فغالباً ما تكون بلونين، لون أبيض يضرب إلى الصفرة وهو لون الصوف، ولون أسود يُتَّخَذ من شعر الماعز، وتكون الخطوط السوداء أرفع من تلك البيضاء حتى تغلب كمية الصوف على الشعر فيكون البساط أكثر طراوة وليناً.

الخُرْج:

يُنسج الخُرْج كالبساط ولكنه أرفع منه، ويُثْنَى طرفاه حتى يصبحا كالجيبين، وتوصل أطراف الجيبين وصلاً متيناً، ثم يوضع على ظهر الدابة لتحمل فيه العائلة بعض أمتعتها وأغراضها، والخُرْج الذي يُستعمل لهذا الغرض عادة ما يكون غير ملون، ويتكون من خطوط بيضاء وسوداء كما ذكرنا.

أما النوع الملون منها فيستعمل لتزيين ظهور الخيل، وغالباً ما يبرز فيه اللون الأحمر والهَدَب الملوّن، والشراشيب الطويلة، وهذا النوع من الأخرجة هو الذي يباع في الأسواق، والعامة تجمع الخُرْج على خْرُوج.

الغَفْرَة:

نوع من المنسوجات الثقيلة التي كانت تُفرش للنوم مكان الفرشة وتستعمل أيضاً كغطاء في أيام الشتاء القارسة فتقي من البرد بسبب ثقلها، إضافة إلى أن الصوف سواء كان في اللحاف أو في أي غطاء آخر فإنه يجلب الدفء والحرارة، وهناك فرق كبير بين الأغطية التي تُحشى بالصوف والتي تحشى بغيره من حيث الدفء والحرارة، وطبيعي أن أهل الصحراء يعرفون هذه الميزة أكثر من غيرهم بسبب استعمالهم اليومي لها.

الثِّفَال:

هو عبارة عن قطعة منسوجة من الصوف وشعر الماعز، تُبْسط تحت الرحى ليسقط عليها الدقيق والحَبّ المجروش، وتُبْسط تحت قِطَع العجين المُعَدّ للخَبْز عند عملية الخَبْز والطهي، ويبلغ طول الثِّفَال حوالي متر ونصف المتر، وعرضه حوالي ٦٠ أو ٧٠ سم. وكان الثفال يصنع في العصور القديمة من الجلد ويبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب، ثم أصبح ينسج من الخيوط المبرومة من الصوف وشعر الماعز كما ذكرنا.

الفَرْدَة:

هي وعاءٌ على شكل كيس منسوج من الصوف يغلب على لونها البياض وفيها بعض الخطوط السوداء المنسوجة من شَعْر الماعز، أو البنية التي

تنسج من وبر الإبل، وهي تُنسجُ على شكل بساطٍ ثم تُثْنَى وتُحبكُ من جانبيها بخيوط متينة حيث تبقى الجهة المقابلة لمكان الثني مفتوحة، وهي تتسع لحوالي ١٠٠ كغم من الحبوب أو الدقيق، وهي تستعمل أصلاً لنقل الحبوب على ظهور الجمال، وكذلك لنقل الحبوب للمطاحن الآلية التي كانت موجودة في بعض المناطق والتي كانت تبعد عن بعضها مسافات بعيدة.

والفَرْدةُ تجمع على " فْرَاد " وكانت بمثابة الكيس في العقود الماضية، وبها كان الناس يحفظون دقيقهم لسهولة تحميلها ونقلها عند الحلّ والترحال.

هذا بالنسبة للمنسوجات الصوفية، أما المنسوجات التي تُنسج وتُصنع من شعر الماعز فهي لا تقلّ أهمية عن سابقاتها، وكانت المرأة تعمل فترة طويلة في غزل الشَّعْر وبَرْمِه ثم تَمدّ النَّول وتنسج أسابيع في عمل هذه المنسوجات لتبيع بعضها في السوق ولتصنع من بعضها الآخر أجزاء لبيتها المتواضع، ومن هذه المنسوجات:

الشُّقَّة:

هي قطعة منسوجة من شعر الماعز تشبه البساط ولكنها سوداء اللون بلون الشَّعر الذي صُنعت منه، وهي طويلة بحسب طول البيت الذي يصنع

منها، والشقة تجمع على شقاق، ويقولون: " شقاق البيت"، وكانت المرأة إضافة إلى عمل الشقاق لبيتها الخاص، فإن بعضهن كانت تنسج بعض الشقاق لتبيعها في السوق، وكان هذا النوع من المنسوجات على ما في صناعته ونسجه من تعب وإرهاق، فإنّ المرأة تلجأ إليه لتجعله نوعاً من العمل اليدويّ الذي تقوم به، لتجعل منه مكسباً ومصدراً لرزقها.

وهناك منسوجات أخرى رفيعة تستعمل لبيت الشعر، من أجل تثبيت أطرافه وتثبيت أماكن شدّ الحبال فيه، ومن هذه القطع قطعة رفيعة بعرض حوالي ٣٠ سم تسمى " مَخَلّ "، وهي تستعمل لتشد إليها الخلالات أو الخلة وهي مسامير خشبية أو معدنية يُشبك فيها الساتر الخلفي أو الأمامي للبيت، وقد جاء اسم المَخَلّ من الخلال وهو المسمار الذي ذكرناه.

المَعنَد:

هو ساتر عريض ينسج من الشعر وبه خطوط بيضاء من صوف المواشي، وبعد أن تفرغ المرأة من نسجه تقصه وتجعل منه قطعتين تركب واحدة فوق أخرى وتحبك ما بين القطعتين حبكاً جيداً فتصبح وكأنها قطعة واحدة ويكون ارتفاع هذا الساتر مترين أو أكثر بقليل، وهو يفصل بين حجرة النساء وبين حجرة الرجال، حيث لا يستطيع الرجل الواقف في

الشق أن يرى ما بداخل غرفة الحريم، ولا يسمح سُمكه لأحد أن يرى ظلال ما يجري داخل تلك الحجرة. ونادراً ما يستعمل المعند للتجارة بسبب ثقله وصعوبة العمل فيه.

مصادر أخرى:

ولا يقف نشاط المرأة على مجال النسيج وحده، بل تلجأ إلى مجالات أخرى نذكر منها:

الخياطة والتطريز:

حيث كانت المرأة تطرز الثياب بالأجرة، ولها أجر معين عن كل طُبّة تطرزها أو عن كل عِرْق أو عن قُبّة الثوب بكاملها.

منتوجات الألبان:

أما في مجال المواشي وألبانها فكانت تخضّ اللبن وتُخرج زبدته وتصنع منه السمن البلدي بعد أن تقدحه وتضيف إليه الكركم والشومر لتكون رائحته زكية طيبة، وهو يباع بأسعار جيدة، وتصنع من اللبن العفيق وهو عبارة عن أقراص كرويّة من اللبن المجفف بحجم حبّة البرتقال، وتبيعه بأسعار مرتفعة، ولذلك تعد تلك الصناعة من التجارات المربحة.

وكانت بعض النساء تعمل في التجارة فتشتري المواشي وتربي الخراف وتبيع وتشتري وتربح في كلّ سوق.

تربية الدجاج:

وكانت تربي الدجاج وتبيع بيوضها، وكان البيض البلدي أغلى سعراً من البيض التجاري، وكانت تبيع كذلك عدداً من الديوك والفراريج التي تربيها من أجل ذلك، وكانت كثير من النساء تعتمد على بيع الدجاج والبيض كمصدر ترتزق منه.

الخضراوات والحبوب:

أما في مجال الخضراوات فكانت المرأة في أيّام الصيف تجفف البندورة، وإذا كان لديها كمية كبيرة أو فائض يزيد عن استهلاك العائلة فكانت تبيع ذلك، وكانت تجفف البامية أيضاً وتبيع قسماً منها على شكل قلائد مجففة.

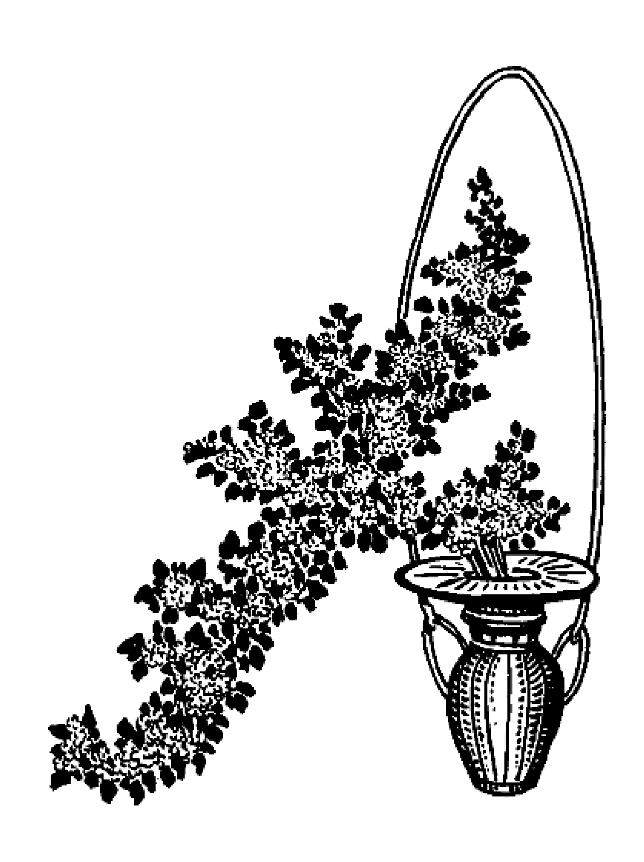
وكانت تزرع العدس في الشتاء ثم تحصده وتدرسه وتستخرج حبه ليكون طعاماً لأولادها وأسرتها على مدار العام لأنه من المأكولات المفضلة والرئيسية التي يعتمد عليها أهل الصحراء في غذائهم.

وبعد:

فإننا في هذه العجالة وفي هذه الصفحات القليلة لا يمكننا حصر كلّ نشاطات المرأة البدوية في صحراء اتسمت بالمحل والجدب، فأخذ كل واحد دوره وعمل عن إيمان وقناعة بأن لكلّ فرد أهميته ودوره في هذه

الحياة الدنيا، فكانت المشاركة الفعلية وكـان التعـاون والإخـلاص، وكـان للمرأة دورها وأهميتها التي ذكرنـا والـتي نتمنـى أن نكـون قـد أوفيناهـا بعض حقها وذكرنا بعضاً من جليل أعمالها، والله من وراء القصد.





ملحق «أ»
الأمثال التي وردت في هذا الكتاب

ابْطِلْ عَادة ولا تُنْشِيء عَادة – ص ١١.

ابن آدم عَوَّاد على أثره – ص ١٠.

ابن ليلته بيعرف شيلته – ص ١٢٨.

أُحكم بطبعك وطبع الناس لا – ص ١٥.

آخُذ ابن عمِّي واتغطّى بكُمِّي – ص ٣٧.

اقعد على الضُّر ولا تقعد على شروشه – ص ١٨٤.

أكل الرجال عند الرجال قُرْضة وعند الأنذال حَسَنة – ص ١٣.

اللي بتصبر بتنول – ص ٧٩.

اللي بيتجوّز ببلاش بيطلق ببلاش – ص ٤٦.

اللي بيدَلِّل على بضاعته بتبور – ص ٢٦.

اللي بيعاشر القوم أربعين يوم، يا بيصير منهم يا بيصير عليهم – ص ١٨.

اللي بيقَدِّم شي بيلقاه – ص ١٠٥.

اللي فيه عادة ما بيخلّيها – ص ١١، ١٥.

اللي فيه كار ما بيخليه – ص ١٥.

إن غابت الخيل ما غاب، وإن غاب وصّى طنيبه – ص ١٨١.

الإيد الفاضية نجسة – ص ١٧٠.

البَدَل قلة عَدَل – ص ٢٩.

كلّ مولود اسمه بيجي معه – ص ١٢٤.

كون نسيب ولا تكون قريب – ص ٢٦.

لما نشوف الصبي بنصلّي على النبي – ص ١٢٤.

لو كان قلب الولد زي قلب الوالدين لاحترقت الدنيا — ص ١٣٤.

مدّ القهوة عَ اليمين لو كان أبو زيد عَ الشمال – ص ١٣.

المَرَهْ ما بتاكل المَرَهْ – ص ١٨٤.

من كان وريثك لا تحاسبه – ص ٢٦.

النبي فَرَش عباءته لنسيبه – ص ٢٦.

النسوان أمهات الرجال – ص ١٦٩.

النسوان بيقَرّبن الزلام – ص ٥١.

ولد العم بينَزِّل العروس من القْطَار – ص ٣٦.

ولدها في الفَزْعة وبنتها في الرَّزْعة – ص ٣٧.

المراجع

١. **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

٢. **الرائـد**: جبران مسعود – طبعة ٦ –كـانون ثانٍ ١٩٩٠، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

٣. **المنجــد في اللغــة والأعــلام**: طبعـة ٣٥ – ١٩٩٧، دار المشـرق، بيروت – لبنان.

٤. **لسـان العـرب**: ابـن منظـور، الطبعـة الثانيـة – ١٩٩٧م، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٥. **المـورد** – منير البعلبكي، الطبعة ٣٢، ١٩٩٨، دار العلـم للملايـين، بيروت – لبنان.

٦. **مـن الأمثـال البدويـة**: صـالح زيادنـة، ط ١، ١٩٩٧، المطبعة العربيـة الحديثة – القدس.

٧. **موسوعة الأمثال الشعبية في النقب**: صالح زيادنة، كتاب مخطوط.

محتويات الكتاب

صدر للمؤلف:

١. **جمر ورماد:** مجموعة شعرية – صدر في ١٩٩٢م.

٢. **قافلة على الطريق:** مختارات شعرية لنخبة من الشباب الموهوب – صدر في ١٩٩٤م.

٣. **من الأمثال البدوية:** مجموعة ضخمة من الأمثال الشعبية مع شرحها، صدر في ١٩٩٧م.

٤. **أنغام حائرة:** مجموعة شعرية، صدر في آب ٢٠٠١م.

٥. **حكايات من الصحراء:** حكايات وقصص شعبية، صدر في آذار ٢٠٠٣م.

٦. **عبارات ومصطلحات من البادية:** عبارات ومصطلحات شعبية، صدر في تشرين ثانٍ ٢٠٠٥م.

٧. **المأكولات الشعبية في النقب:** كتاب توثيق للمأكولات الشعبية، صدر في آذار ٢٠٠٨م.

يُطلب الكتاب من المكتبات أو من المؤلف على العنوان التالي

ص.ب ٢٤٧ رهط ٨٥٣٥٧ ☎ ٠٨-٩٩١٩٩٢٣

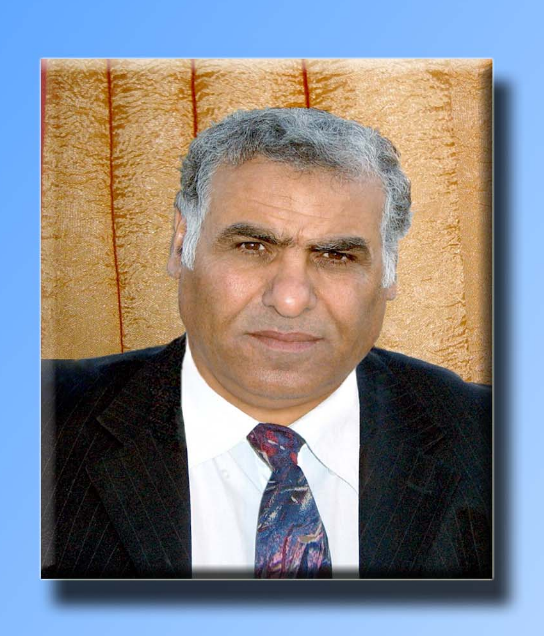
هاتف نقّال: ٠٥٠-٧٢٨٢٠٣٤

البريد الإلكتروني: z_saleh@hotmail.com

موقعنا على شبكة الإنترنت :

http://www.khayma.com/salehzayadneh

صدر للمؤلف:



جمر ورماد.

قافلة على الطريق.

من الأمثال البدوية.

أنغام حائرة.

حكايات من الصحراء.

عبارات ومصطلحات من البادية.

المأكولات الشعبية في النقب.

المرأة العربية في النقب.